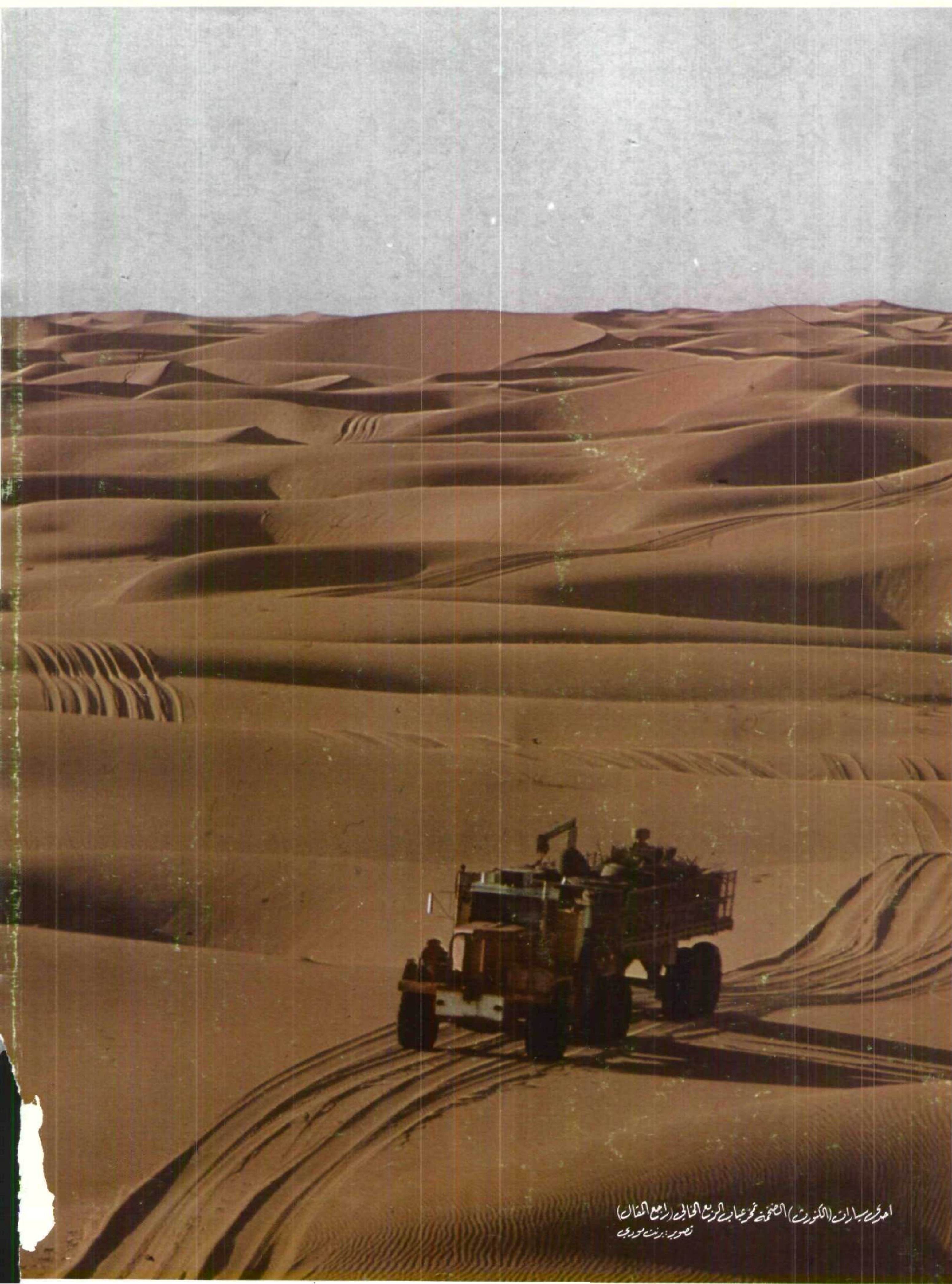

قافلة الزيت
محرم ١٣٩٠ - مارس - أبريل ١٩٧٠



احدى سيارات (الكنفوي) الضخمة تمخر عباب الربع الخالي (راجع المقال)
تصوير: برنت مودي

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

العدد الأول المجلد الثامن عشر

تصدر شهرياً عن شركة الزيت العربية الامريكية لموظفيها
ادارة العلاقات العامة
توزع مجاناً

العنوان صندوق البريد رقم ١٣٨٩ الظهران - المملكة العربية السعودية

محتويات العدد

صفحة

آداب

علوم

استطلاعات

التعليق على صورة الغلاف

في ذكرى اشراقة العام الهجري الجديد «لوحة للفنان عبد اللطيف القباني»

المدير العام: مصطفى حسن الخان المدير المسؤول: علي حسن قنديلي
رئيس التحرير: منصور مدني المحرر المساعد: عوني ابو كشك

يجوز اقتباس المواد التي تعدها هيئة التحرير دون إذن مسبق
مع ذكر القافلة كمصدر
المواد التي تردنا وتنشر في القافلة لا تعبر بالضرورة عن رأي هيئة التحرير

تصميم وطباعة مطابع المطوع – الدمام – المملكة العربية السعودية – DESIGNED AND PRINTED BY AL-MUTAWA PRESS, DAMMAM, SAUDI ARABIA

بعض ما أعرف عن الدكتور

طه حسين





بقلم الاستاذ محمود أبو رية

رغبت الي أسرة تحرير « القافلة » أن أوافيها بكلمة أذكر فيها بعض ما أعرف عن الدكتور طه حسين . ولا يسعني الا أن ألبي هذه الرغبة العزيزة ، مع اعترافي بأن ما أنشره اليوم ان هو الا ذرو قليل مما أعرف عن الدكتور طه حسين ، ولو اني اردت أن أذكر كل ما أعرف عنه ، وما اختزنته ذاكرتي مما سمعته منه ، لاستدعى ذلك الى أن أضع كتابا عنه .

لقد عرفت الدكتور طه حسين منذ أكثر من نصف قرن ، وكان ذلك عندما أنشأ ينشر أول مقالاته في الصحف اليومية ، ثم في المجلات ، ثم في الكتب ، حتى لم يكد يند عني شيء مما كتبه باللغة العربية .

وأول ما قرأت له كان نقده لكتاب «النظرات» ، تأليف السيد مصطفى لطفي المنفلوطي رحمه الله ، الذي أخرجته دار المعارف سنة ١٩١٠ . وكان هذا النقد في مقالات نشرت متتابعة بجريدة « اللواء » بعنوان « نظرات في النظرات » ، وكان نقدا لاذعا . وعلى أنه لم يكن حقا كله ، وانما فيه تحامل وعدم انصاف ، حتى ليحتاج هو الآخر الى نظرات ، فانه أحدث دويا هائلا في المحيط الأدبي ، ذلك بأن المنفلوطي كان في ذلك العهد قد بلغ منزلة رفيعة في عالم الأدب ، واستفاضت له شهرة بين البلاد العربية جميعا ، وكان يرسل مقالاته الأدبية على صفحات جريدة « المؤيد » التي كانت حينئذ أكبر جريدة يومية اسلامية في الشرق كله . وقد كان الأدباء يستقبلون مقالات المنفلوطي بلهف ، لأنها كانت تكتب بالأسلوب السهل البليغ ، الذي تخلّص مما كان شائعا بين الكتّاب في ذلك العهد من السجع المتكلف والبديع مما لا طائل تحته ، والمغالاة في التورية والجناس ، مما كان يشبه طريقة القاضي الفاضل ، التي كان ابن خلدون قد قضى عليها .

وقد بعث هذا النقد لدى أهل الأدب دهشا وعجبا . وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون : ترى من هذا الذي اجترأ على نقد المنفلوطي ؟ ! ثم تبين لهم ان هذا النقد قد صدر عن شاب أزهري ، لا يكاد يعرف قبل ذلك بين الناس . ومن يومئذ اتجهت الأنظار الى هذا الشاب الأزهري ، وعرف الشيخ طه حسين . ولمع نجمه في سماء الأدب ، واتخذ له بين الأدباء مكانا . ثم أخذت شهرته تستفيض يوما بعد يوم ، وبخاصة بعد أن أخذ يكتب في الأدب والنقد .

وانا نرى من حق تاريخ الأدب علينا أن نبين مبعث هذا النقد الذي صوب الى المنفلوطي من حيث لا يحتسب . وكيف قام ؟ حتى يعلمه أهل هذا الجيل لأنه يتصل بهذا التاريخ في عصرنا اتصالا وثيقا .

كان المنفلوطي رحمه الله ، كما ذكر هو عن نفسه ، من « صنائع سعد زغلول الزعيم المصري » . وكان سعد هذا لا يفتأ يتولاه بالرعاية ، ويحفه بالعناية ، وكان دائما يستصحبه فيما يتولاه من الأعمال الرسمية ، فضمه تحت جناحه عندما كان وزيرا للمعارف ثم لما أصبح وزيرا للحقانية (العدل) ، وكذلك في مجلس النواب . ومن أجل ذلك جعله المنفلوطي « ولي أمره » في اهداء كتابه « النظرات » ، فقال في هذا الاهداء : انه يهديه الى ثلاثة : ولي نفسه والده ، وولي عقله استاذه الشيخ محمد عبده ، وولي أمره سعد زغلول باشا .

وقال فيهم : « انه حسنة من حسناتهم ، وصنيعة من صنائعهم ، وأثر من آثار عنايتهم ورعايتهم ، وأولئك الذين أحسنوا الي في هذه الحياة احسانا لا أزال أذكر أياديهم البيضاء فيه حتى تعتاق نفسي حمامها .. »

وحدث أنه عندما أنشئت « مدرسة القضاء الشرعي » في مصر ، كان الشيخ عبد العزيز جاويش ، وهو من كبار مفتشي وزارة المعارف حينئذ ، يتوقع أن يكون هو ناظرها ، وكان له من كفايته وعلمه ما يجعله أهلا لهذا المنصب الكبير . ولكن سعد زغلول ، وهو وزير المعارف

حينئذ وبيده الفصل في هذا الأمر ، تخطى الشيخ جاويش ، وآثر بهذا المنصب ابن اخته عاطف بركات .

وقد ترك هذا التعيين لدى الشيخ جاويش أثرا بليغا ، وأسرّها في نفسه ، حتى اذا خرج من وزارة المعارف ، وتولى رياسة تحرير جريدة « اللواء » بعد موت مصطفى كامل رئيس الحزب الوطني ، أخذ يصب جام غضبه على سعد زغلول بمقالات ، جعل عنوانها « ظلموك يا سعد » ، وجعلها نوازل متعددة .

ولم يلبث المنفلوطي تلقاء هذا الهجوم على « ولي أمره » من الشيخ جاويش حتى أخذ يثأر به ، فسل قلمه وصوب طعنته الى الشيخ جاويش في عبارة وصفه بها في كتابه « النظرات » ، وهو يتكلم عن كتاب مصر وعلمائها في عبارات مختصرة ، فقال عنه : « لولا مقامه في اللواء (أي جريدة اللواء) ومذهبه في الهجاء ، لكان هو وفريد وجدي سواء » .

ولم يكد الشيخ جاويش يطلع على ذلك حتى أخذته الحمية ، وعجب أن يتطاول اليه مثل المنفلوطي ، وهو يرى أنه دونه من العلم ، ووراءه في القدر ، وأصر على الانتقام منه . ثم رأى أن لا ينازله بنفسه في ميدان ، فسلط عليه الشيخ طه حسين الطالب بالأزهر ، فكتب هذه المقالات التي كانت الدرجة الأولى في سلم الشهرة التي نالها الشيخ طه حسين ، والتي تمنى كثير من الكتاب أن ينالوا مثلها ، فعجزوا وما بلغوا . وقد حاول الدكتور زكي مبارك أن يكون له في أفق هذه الشهرة منزلة ، واتخذ سبيله الى ذلك أن ينقد طه حسين ، فنشر مقالات كثيرة في ذلك ، لعله ينال بها مثل ما ناله طه حسين في نقد المنفلوطي . بيد انه على كثرة ما كتب ، فانه لم يبلغ الغاية التي يصبو اليها . وسقط دونها . وبعد مقالات « نظرات في النظرات » ، أنشأ الشيخ طه حسين ينتقد جرجي زيدان ، صاحب دار « الهلال » ، في كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » بمقالات نشرها بمجلة « الهداية » ، التي كان يحررها الشيخ جاويش . ونشر كذلك في هذه المجلة مقالات اجتماعية ودينية لا يتسع المجال للكلام عنها .

ثم واصل كتاباته في الميدان الادبي في غير جريدة اللواء ، مثل جريدة « الجريدة » ، التي كان يرأس تحريرها الأستاذ أحمد لطفي السيد ، وفي جريدة « السياسة » ، وفي « السياسة الأسبوعية » اللتين كان يرأس تحريرهما محمد حسين هيكل رحمه الله ، ولا تحصى الصحف والمجلات التي كتب فيها الدكتور طه حسين لأنها كثيرة ، وكذلك الكتب التي أصدرها .

وقد شهدت كثيرا من معاركه العلمية والأدبية ، وكان أشدها معركته مع الأزهر بشأن كتاب « في الشعر الجاهلي » ، وقد اندلع لهيب هذه الحرب حتى بلغ مجلس النواب واحتدمت فيه من أجلها مناقشات عنيفة كادت تؤدي بهذا المجلس . كذلك معركته مع الأستاذ مصطفى صادق الرافعي رحمه الله ، التي لم يشهد هذا العصر مثلها معركة أدبية .

وشهدت كذلك معارك أدبية أخرى بينه وبين الدكتور منصور فهمي باشا ، وبينه وبين الأستاذ أحمد حسن الزيات ، وبينه وبين الدكتور محمد حسين هيكل ، وكانت على صفحات جريدتي « السفور » ، و « السياسة » ، ولكن كل هذه المعارك لم تكن حامية . ولا أستطيع أن أحصي كل ما خاضه من معارك بينه وبين الأدباء ، لأنها كثيرة . ونسجل هنا أنه لم يرد على من لا يراه هو غير مستحق للرد ، كما فعل مع الدكتوز زكي مبارك .

ولما اتصلت به شخصيا في القاهرة ، بعد انتقالي اليها من مدينة المنصورة ، وتوالت زياراتي له ، كنت أسأله في بعض جلساتي معه أسئلة خاصة في مسائل دقيقة ، فكان يجيبني عنها جوابات صريحة تدل على صدق ايمانه ، وكمال يقينه ، وواسع علمه .

وسألته مرة : لم لم تجمع مقالات « نظرات في النظرات » وتطبعها في كتاب على حدة ، كما فعلت في كل ما تكتب متفرقا ؟

فقال : اني لم أكن راضيا عنها يوم كتبتها ، ومن أجل ذلك لم أفكر في جمعها وطبعها ، ولن أفكر .

وقلت له مرة : ان الأدب العربي لم يؤرخ التاريخ الكامل الذي يجب أن يظهر به بين آداب العالم ، وكل ما كتب في ذلك لا يروي الغليل ، ولا هو من العلم والتفصيل والتحقيق في كثير أو قليل ، وان هذا الأمر لا يضطلع به غيرك وأنت عميد الأدب .

فأبدى لي معاذير لم تسكن اليها النفس .

وبمناسبة الكلام عن مجالسه لا بد لي أن أذكر كلمة صغيرة عن الفرق بين هذا المجلس ومجلس الأستاذ عباس محمود العقاد ، رحمه الله .

ان مجلس الدكتور طه حسين لا يغشاه الا خواصه ومحبوه ، وأكثرهم من ذوي الأسنان ، ثم من يريد منه جوابا عن مسألة أدبية أو تاريخية ، من مصر أو غيرها من أبناء الأقطار العربية . ويكون مع زواره مهما كانوا ، كأحدهم لا يستعلي عليهم في شيء ، بل يعتبرهم جميعا اخوانا له ، وما رأيته مرة قد أبدى لأحد من زواره شيئا يدل على أستاذيته . وليس لمجلسه موعد محدد ، بل ينعقد في كل يوم ليلا نهارا .

وانك لتراه وأنت معه أو في مناقشاته وادعا هادئا ، على غير ما كان معروفا عنه في جنّ شبابه وصدر أيامه ، من الشدة والعنف في معالجة الأمور ومناقشة المسائل .

ومما لاحظته أنه يرعى للأموات حرماتهم ، واذا ما ذكر أحدهم بسوء أمامه ، رد المتكلم بلطف ، وردد بيتا للمعري ، هذا نصه :

لا تظلموا الموتى وان طال المـــدى   اني أخـــاف عليكم أن تلتقوا

وما سمعته مرة يطعن في أحد من خصومه ، الأحياء منهم والأموات .

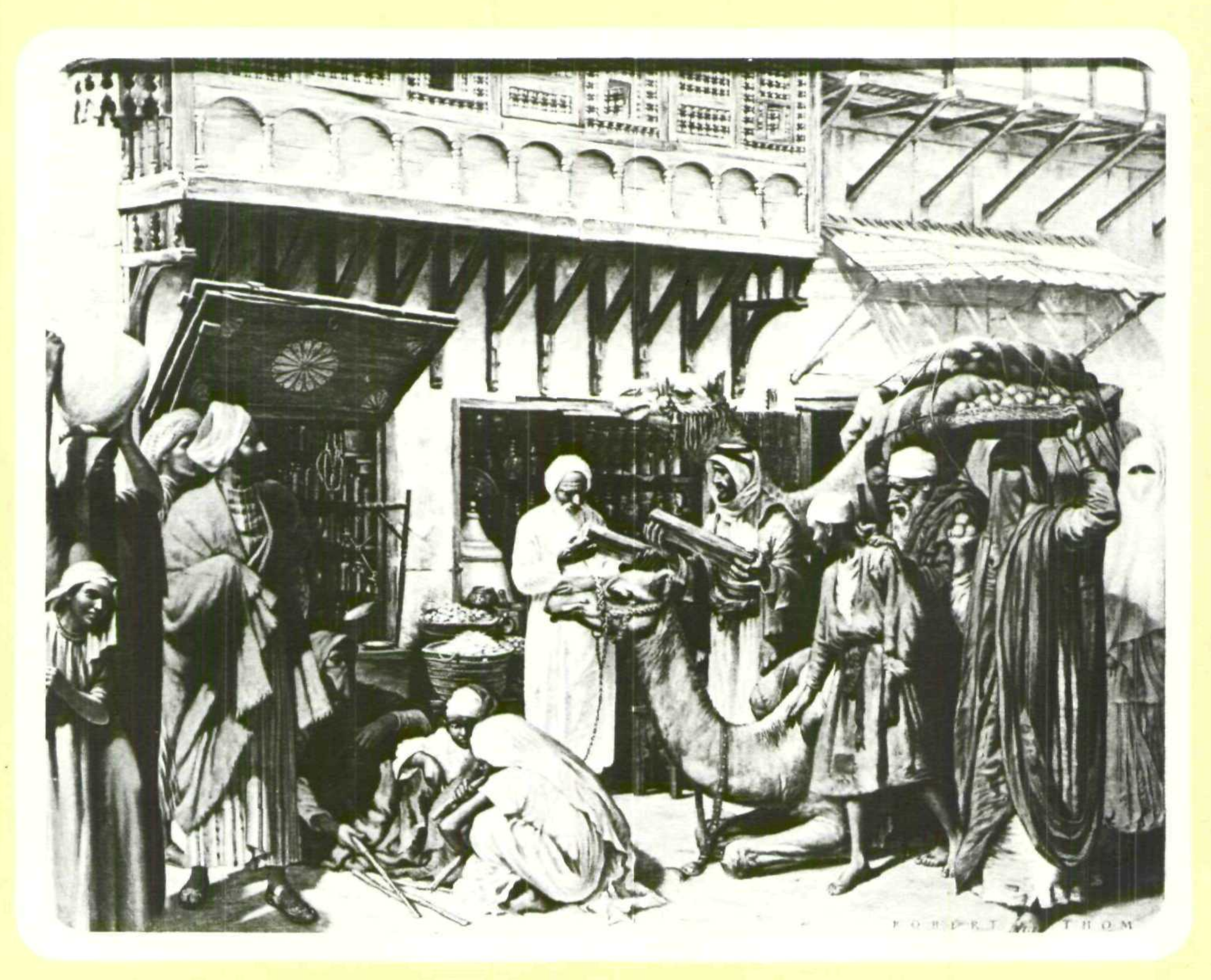
أما مجلس العقاد ، فكان له يوم معلوم هو يوم الجمعة من كل أسبوع ، من الصباح الى منتصف النهار ، وكان يحضره شداة الأدب وهواته ، وأكثرهم من الشباب ، ومن أجل ذلك كان يقف منهم موقف الأستاذ من تلاميذه . وكان هذا المجلس ، في بعض الأحايين ، لا يخلو من صخب وشدة في المناقشة ، وكان أكثر من يناقشه لا يستطيع الاسترسال في مناقشته ، بل يعتريه الحصر والسكوت .

هذا ما استطعت أن أعتصره من ذاكرتي البكيئة مما أعرف عن الدكتور طه حسين ، وقد مضى على أكثره حوالي نصف قرن ، وقد اعتمدت على الذاكرة وحدها ولم أرجع ، فيما كتبت ، الى كتاب أستعين به ، اللهم الا كتاب « النظرات » للمنفلوطي ، فنقلت منه صورة اهدائه الى من أهدى اليهم .

ومما يجب أن أسجله هنا ، قبل أن أضع القلم من هذه الكلمة ، أني لم أعرض فيها لعلم الدكتور طه حسين وأدبه ، ولا لما أنفقه في سبيل الأدب العربي من جهد ، ولا الى بيان توجيهه أدباء هذا الجيل الى دراسة الأدب الدراسة العلمية الحديثة . كل ذلك وغيره لم أعرض له لأنه يحتاج الى دراسة مستفيضة ممن يستطيع أن ينهض بها ويؤديها كاملة على حقيقتها ■

الأطباء العرب

الأقدمون والمحدثون



رسم لاحدى قوافل العقاقير الطبية المستحضرة من الأعشاب التي كان العرب يتاجرون بها في العصور الوسطى . ويبدو في منتصف الصورة صيدلي عربي وهو يفحص عينة من خشب الصندل لاستحضار بعض العقاقير منه .

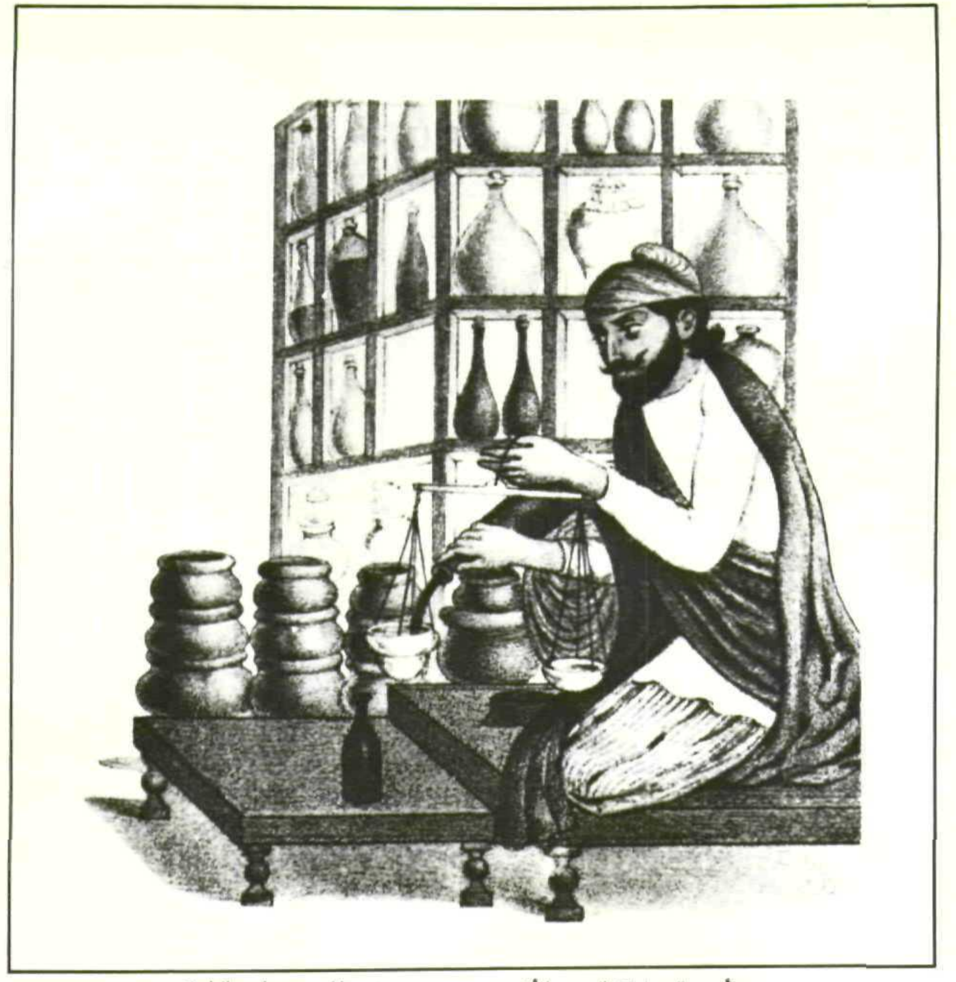
ظل العرب طوال قرنين بعد بدء الفتوحات الاسلامية سدنة الطب وسادته . وبعد الغزو المغولي للامبراطورية الاسلامية تدنى مستوى الطب نتيجة لتفكك الدولة . وآل الى تدهور دام ستة قرون عاد بعدها ناميا مزدهرا . ليدل بوضوح على مدى اسهام العرب في هذا المجال . بالاضافة الى غيره من المجالات الحضارية .

تذكر المصادر أن أول عربي درس الطب ومارسه كمهنة هو الحارث بن خلدة . الذي سافر قبل ظهور الاسلام بقليل الى بلاد فارس حيث التحق بمدرسة « جند يسابور » الطبية . وعاد بعد تخرجه منها ليزاول مهنته في الجزيرة العربية . وكانت هذه المدرسة تدرس الطب على أيدي أطباء يونانيين أسرهم الفرس خلال حروبهم المتعاقبة . وعندما فتح الاسكندر المقدوني بلاد فارس أمر بتدريس اللغة اليونانية في هذه المدرسة ، مما أتاح للمتعلمين الفرس أن ينهلوا من العلوم اليونانية . وعندما لجأ النساطرة الى بلاد فارس بعد أن أمر الامبراطور الروماني « زينو » باغلاق جامعة « أديسا » الواقعة بالقرب من حلب لمناصرتها للنساطرة كانت مدرسة « جند يسابور » في أوج ازدهارها . وقد كانت تلك الجامعة تدرس أسس الطب الأبقراطي نسبة الى « أبقراط » وفيها تعلم النساطرة اليونانية ، لغة أسفارهم الدينية ، فتمكنوا نتيجة لذلك من الالمام بالعلوم الطبية اليونانية .

لقد دعم لجوء النساطرة الى مدرسة « جند يسابور » النهج الطبي اليوناني فيها ، وهو نهج يعتمد على الملاحظة المستمرة ودراسة الأعراض ومراقبة نتيجة العلاج ، ويعتبر الطب اليوناني على أساسه أول طب حديث عرفه العالم .

ولقد سقطت مدينة جند يسابور في يد المسلمين عام ٦٣٠ للميلاد ، وحافظت الدولة الاسلامية على معهدها العلمي كأهم مراكزها الطبية ، الى أن نحتها بغداد ، في العهد العباسي ، عن مكانتها باجتذاب أفضل أساتذتها وطلبتها اليها .

لمع تبرز أسماء أطباء عرب منذ أيام « الحارث بن خلدة » الى أيام العباسيين . بيد أن العلماء العرب بما فطروا عليه من فطنة وذكاء طوروا العلوم الطبية اليونانية ، التي كان يدرسها أساتذة مدرسة « جند يسابور » في بغداد ، ووسعوها ، فكانت حقا بداية عصرهم الذهبي في مجال العلوم الطبية .



رسم لأحد الصيادلة العرب الأقدمين وهو يعد بعض المستحضرات الطبية .

وقد عرف من أطباء العرب في ذلك العصر أبو بكر الرازي ، وابن سينا اللذان لاتزال صورهما تزين جدران القاعة الكبرى في كلية الطب بجامعة باريس . وقد كان لمؤلفات الرازي ومآثره العلمية أثر كبير في اتساع شهرته كواحد من أعظم مفكري العصور الوسطى وأحذق أطبائها . وظل مؤلفه « كتاب الأسرار » مرجعا رئيسيا للمعرفة الطبية في أوروبا لقرون عديدة . أما كتاب ابن سينا « القانون في الطب » فقد ظل يدرس في جامعات أوروبا لمدة تزيد على ٥٠٠ سنة . وقد شخّص أطباء عباسيون أقل شهرة من الرازي وابن سينا حوالي ١٣٠ مرضا من أمراض العين وحدها ، كما شرحوا الدورة الدموية قبل نحو ٥٠٠ سنة من ميلاد « سيرفيتس » البرتغالي الذي يعزى اكتشافها اليه . وكان بعض هؤلاء الأطباء على درجة كبيرة من النبوغ في حقل الجراحة والثقة بالنفس ، الى حد أن الواحد منهم كان يجري عملية في بؤبؤ العين لشخص فقد النظر بغية اعادة نور عينيه اليه باذن الله .

وكان الخلفاء العباسيون ينفقون أموالا طائلة على ترجمة العلوم من اليونانية والسريانية والهندية الى العربية ، وقد بلغ ذلك أوجه في عهد المأمون الذي أسس كلية خاصة بالمترجمين على نفقة الدولة . ونتج عن ذلك تقدم ملموس في مجالات كثيرة ، كالصيدلة ، اذ تخصصت بعض الحوانيت ببيع الدواء ، وكان الأطباء يخضعون لفحوص علمية قبل مزاولتهم مهنة الطب ، كما كانت هنالك هيئة طبية مهمتها زيارة المناطق النائية لمعالجة المرضى فيها . وقد بنى الخليفة العباسي « هرون الرشيد » أول مستشفى في الاسلام ، وقبيل أفول العهد العباسي لم تكد مدينة رئيسية تخلو من مستشفى ، مزود بمكتبة ضخمة وبأساتذة يدرسون بعض المواضيع الطبية . وكانت هذه المستشفيات مقسمة الى أجنحة للرجال وأخرى للنساء وأقسام للطب الداخلي والجراحة والعظام وامراض العين . ومن ناحية ادارية كانت السلطة بيد رئيس الأطباء ، ثم رؤساء الأقسام .

وقبيل تفكك الدولة العباسية كان العلماء العرب ، ومنهم الأطباء ، قد حققوا آخر منجزاتهم العلمية ، التطبيقية والنظرية ، الا أن تقديرهم للمراجع العلمية والفلسفية القديمة أيّا كانت وبلا محاولة للتمييز بينها كان من الأسباب التي جعلت شعاع تقدمهم العلمي يخبو ، شأنهم في ذلك شأن أوروبا في العصور الوسطى .

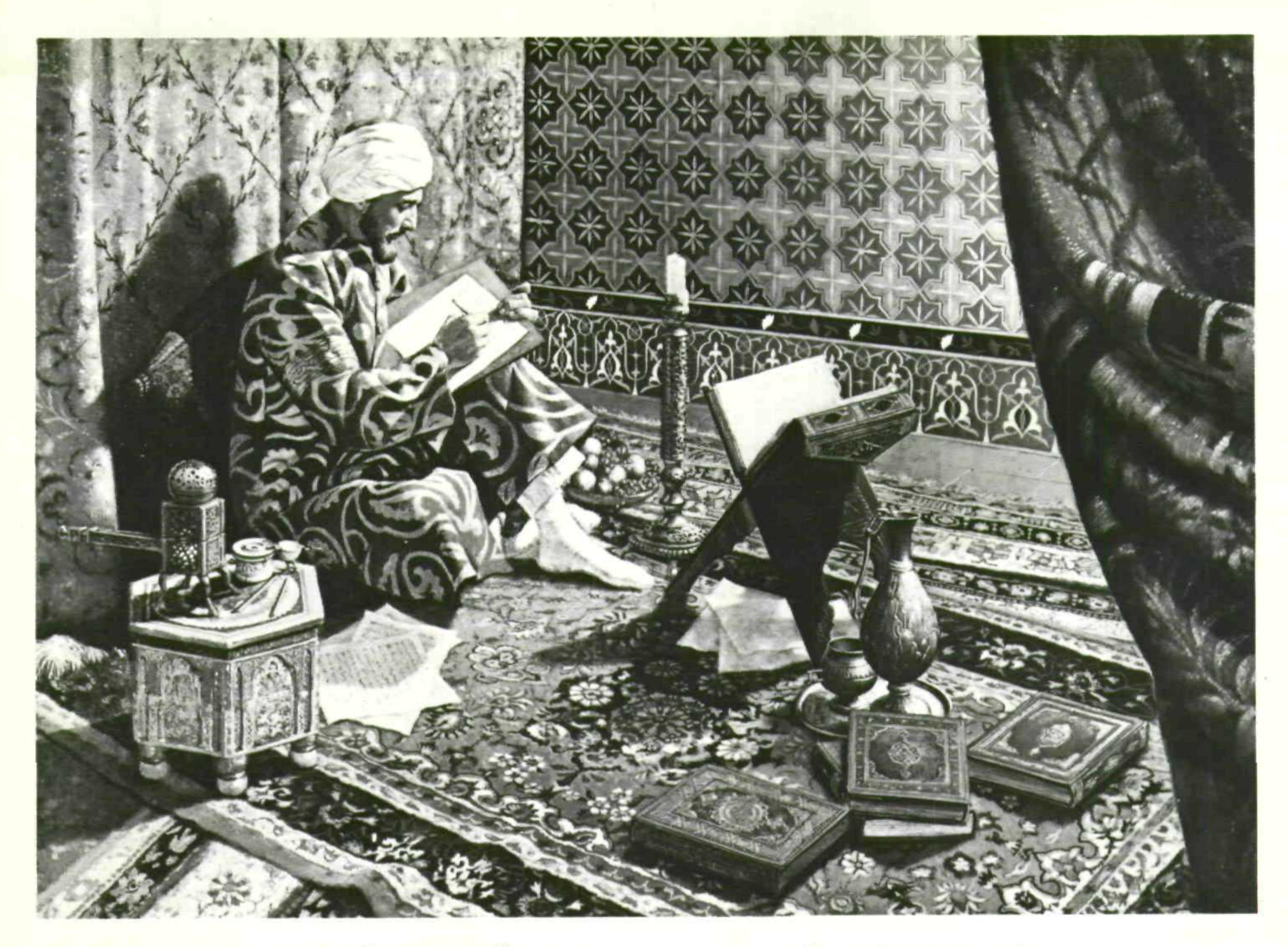
وكانت أوروبا ابان النهضة العلمية في الشرق ما تزال ترسف في دياجير الجهالة ، وتغطّ في نوم ثقيل نتيجة للعصور المظلمة التي أطبقت عليها ، ولكن بعض مراكزها العلمية كانت تحتفظ بقليل من المخطوطات الكلاسيكية ، بينها نزر يسير من المخطوطات الكيماوية والمخطوطات التي تحوي وصفات طبية .

ومع خبو شعاع التقدم العلمي في الشرق كانت بعض الأقاليم والمدن الأوروبية تتململ من رقادها على بصيص شعاع صغير من نور . ففي «ساليرنو» بالقرب من « نابولي » ، كانت هنالك مدرسة طبية تدرس بعض المراجع الطبية الكلاسيكية . ومع قدوم الطبيب العربي « قسطنطين » الأفريقي ، القرطاجي المولد ، الى هذه المدرسة وترجمته للمخطوطات الطبية العربية واليونانية ، تطورت أساليب تدريس العلوم الطبية في هذه المدرسة وغدا نهجها الاعتماد على الملاحظة الدقيقة أكثر من الاعتماد على المراجع الطبية القديمة . ونتيجة لاضطهاد الحكام في اسبانيا للعلماء والأطباء العرب أو المستعربين ، لجأ هؤلاء الى جامعة « مونبليه » في جنوبي فرنسا . وكان أكثرهم يتقن العربية والاسبانية واللاتينية الأمر الذي مكن جامعة « مونبليه » بعد أن أصبحت مناهجها تدرس العلوم الطبية الأبقراطية وطب ابن سينا ، من تخريج العديد من الأطباء والمترجمين والكتاب والمعلمين الأكفاء .

ومع حلول عصر النهضة الأوروبية حدث تحول كبير بالنسبة للاتجاه الكلاسيكي في أوروبا ، وأقبل المتعلمون على دراسة العلوم ، فنجم عن ذلك ظهور بعض المكتشفات الطبية ، كميزان الحرارة والمجهر ، وبعض الأساليب الطبية الجديدة كعد نبضات القلب . كما بدأ تدريس الطب عمليا واجراء بعض عمليات الجراحة التجميلية المعقدة كجراحة « البلاستيك ». وكذلك شهدت أوروبا تقدما كبيرا في مجال الصحة العامة شمل ترخيص القابلات القانونية رسميا قبل مزاولتهن المهنة ، واعطاء المزيد من العناية بصحة الأمهات والأطفال



رسم قديم يمثل الطبيب العربي الشهير « أبو بكر الرازي » وهو يقوم باعداد بعض العقاقير الطبية .. وقد ألف الرازي أكثر من ٣٥٠ كتيبا في حقل الطب كانت وما تزال مرجعا للأطباء المحدثين .



رسم للطبيب والفيلسوف العربي الكبير « ابن سينا » الذي طبقت شهرته الآفاق والذي ظلت كتبه الطبية تدرس في الجامعات أكثر من ستة قرون . ويبدو هنا وهو يحلل أعراض بعض الأمراض ويعد الوصفات الطبية لعلاجها .

والتسجيل الاجباري للولادات والوفيات وحالات الاصابة بالأمراض المعدية . ومع حلول القرن التاسع عشر ، ونتيجة للتأكد من دور البكتيريا في الاصابة بالأمراض ، أصبح الأطباء قادرين على تفهم طبيعة الالتهابات ، الأمر الذي دفع بالعلوم الطبيعية دفعا حثيثا الى الأمام . فعرف فن « التخدير » ، وأميط اللثام عن طبيعة التعفن ، وأصبحت « القاعدة » هي أساس المعالجة الطبية لا « الحالات النادرة » ، كما كان متبعا في السابق .

وفي نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين عـرف أسلوب التحصين ضـد الأمراض ، كما عرفت جراحة القلب والدماغ ، وتطورت جراحة البلاستيك ، واكتشفت أشعة أكس وحضّرت أصناف متعددة من الأدوية والعقاقير الطبية ، وعرف التخصص في الطب ، وازداد اعتناء الحكومات بالصحة العامة . وفي أيامنا هذه أصبح العلماء يتحدثون عن احتمال استخدام الأعضاء الاصطناعية محل أعضاء جسم الانسان التالفة ، ويعكف كثير من الأخصائيين على انتاج مثل هذه الأعضاء ، بالاضافة الى انتاج البشرة الاصطناعية لاستخدامها في تغطية الحروق الكبيرة .

أما العرب فقد خضعوا بعد سقوط دولتهم العباسية لحكم المماليك ، فالعثمانيين . وكانوا أثناء ذلك في تدهور مستمز من الناحية العلمية . وفي أول يوليو عام ١٧٩٨م وصلت حملة نابليون الى ميناء الاسكندرية للسيطرة على مصر ، وبالتالي للاستيلاء على طرق التجارة البريطانية الى الهند . ومع أن نابليون فشل سياسيا ، الا أنه نجح في احداث نوع من التقارب بين الشرق والغرب . وكان بين القوات التي أرسلها العثمانيون لمواجهة نابليون في مصر ضابط ألباني الأصل هو محمد علي ، الذي غدا في غضون سنتين حاكم مصر . ومع أن محمد علي كان أميا ، الا أنه شقّ الترع ، وبنى المصانع والمدارس ، وأسس أول وزارة للمعارف في البلاد ، كما أنشأ جيشا وطنيا وقوات بحرية . وقد نقل الى البلاد زراعة القطن من السودان ، وأرسل الخبراء العسكريين والتعليميين الى شتى البلدان والأقاليم المجاورة ، وابتعث كثيرا من الشباب المصريين الى ايطاليا والنمسا وفرنسا لتلقي العلم ، وأنشأ عام ١٨٢٧م بمساعدة الدكتور « أنطوان كلوت » أول مدرسة طبية حديثة في العالم العربي ، وهي كلية الطب في القاهرة التي أصبحت تعرف فيما بعد باسم « القصر العيني » .

وكان يحكم لبـــنان في الوقت نفسه الأمير « بشير الشهابي » الذي كانت تربطه بمحمد علي أواصر صداقة . وكان الأمير الشهابي متفتح الذهن ، يتقبل سنة التطور بسهولة ، فضرب وأفراد عائلته عام ١٨٠٦م للبنانيين مثلا طيبا عندما وافق على أن يطعم هو وعائلته ضد الجدري . وعندما تعرض لبـــنان لمرض الطاعون في الفترة الواقعة بين عامي ١٨١٣م و ١٨١٦م ، هرع الأمير بشير الى اتخاذ اجراءات طبية فعالة لمواجهة هذا المرض الفتّاك نذكر منها العزل . ونقاط المراقبة على الحدود . ومراقبة الأسواق والدكاكين . وعندما أصيب الأمير نفسه بمرض عضال أرسل له محمد علي باشا طبيبه الدكتور « كلوت » للعناية به . ولما شفي الأمير وعاد الدكتور « كلوت » الى القاهرة اصطحب معه خمسة شبان لبنانيين فطناء كي يدرسوا الطب في القصر العيني ، وبعد تخرجهم كانوا أول أطباء حديثين عرفهم لبـــنان . وكذلك فعل « ابراهيم باشا » في سوريا ، فقد أرسل نفرا من الشبان السوريين لدراسة الطب في القصر العيني ، وعندما تخرجوا كانوا أيضا أول أطباء حديثين في سوريا .

وأشيدت أول كلية للطب في لبـــنان عام ١٨٦٧م ، وهي « كلية البروتستانت » السورية ، التي غدت تعرف فيما بعد باسم « الجامعة الأمريكية » في بيروت ، وتلتها كلية أخرى عام ١٨٨٣ ، هي كلية « القديس يوسف » الفرنسية



الجراح الشهير العربي الأصل الدكتور « ميشيل دبغي » أثناء قيامه بعملية زرع قلب اصطناعي في جسم مريض يبلغ الخامسة والستين من عمره .

أما السودان فعرف أول كلية للطب عام ١٩٢٤ ، وتلاه العراق عام ١٩٢٧ . أما تونس والمغرب والجزائر فلم تنشيء كليات للطب الا في العقد الأخير من هذا القرن . وفي المملكة العربية السعودية ينتظر أن تفتتح كلية للطب تابعة لجامعة الرياض في العام الحالي .

هذا ، وقد ازداد عدد كليات الطب في البلدان العربية بشكل ملحوظ ، ففي مصر وحدها أصبح عددها ست كليات ، وفي العراق اثنتان ، ومثلهما في سوريا . أما المستشفيات ومستودعات الأدوية والعيادات المتنقلة ومراكز رعاية الأمومة والطفولة والمستشفيات الخاصة فانها تزيد وتنقص في البلدان العربية تبعا للحالة الاقتصادية لكل منها . ففي المملكة العربية السعودية ، يلاحظ تقدم ملموس في الحقل الصحي ، اذ يزيد عدد المستشفيات على ٧٥ مستشفى ، بالاضافة الى أكثر من ١٦٠ مستوصفا ، و ٢٥٠ عيادة صحية . وفي الكويت حيث بدأت الخدمات الطبية عام ١٩٤٩م بمستشفى واحد لا يزيد عدد أسرته على ٥٠ سريرا يوجد اليوم ١٠ مستشفيات ومراكز طبية . أما البحرين فقد أنفقت عام ١٩٦٧م نحو ٥٥ في المائة من ميزانيتها في مجالات الصحة والتعليم . وفي قطر ازداد عدد المستشفيات من واحد يديره ويرعاه طبيب واحد الى خمسة ، يضم أكبرها ٦٠٠ سرير ، ويعمل فيه ١٥ طبيبا أخصائيا .

ومن ناحية أخـــرى كانت تصدر في العالم العربي في منتصف القرن التـــاسع عشر صحيفة طبية واحدة ، مقابل أكثر من ٥٠ صحيفة طبية تصدر فيه حاليا ، وهذا يظهر مدى تقدم المنطقة في مجال الخدمات الطبية . واذا لاحظنا نسبة عدد المرضى الى الأطباء في بلد كالكويت مثلا ، وهي ٧٨٠ مريضا للطبيب الواحد ، لرأينا أن نسبة عدد المرضى في بعض البلدان العربية وخصوصا البلدان المنتجة للزيت تقارب من حيث الأطباء بالنسبة للسكان ان لم تفق كثيرا من البلدان المتقدمة ، ففي السويد تبلغ نسبة عدد المرضى الى الأطباء ٩٦٠ الى ١ ، وفي بريطانيا ٨٣٠ الى ١ وفي الولايات المتحدة ٧٠٠ الى ١ .

انه لمن العسير أن نقوّم مستوى عمل الأطباء العرب هذه الأيام . فهناك عدد كبير من الأطباء الحاذقين حديثي السن ممن يبشرون بمستقبل طبي زاهر ، وهنالك عدد آخر ممن يتلقون تعليمهم العالي في الخارج ، ثم تجتذبهم تلك البلاد فلا يعودون الى أوطانهم . وقد بلغت نسبة الأطباء الذين وفدوا من الشرق الأوسط والذين رخصوا لمزاولة المهنة في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٦، ١٠ في المائة من مجموع الأطباء الذين تخرجوا في الشرق الأوسط ذلك العام .

ومن أشهر الأطباء المعاصرين الذين هم من أصل عربي الدكتور « ميخائيل الياس دبغي » ،

جهاز لاستنشاق البنج

ملقط لخلع الاسنان

ملقط صغير

محقنة

قطارة أنف

أداة للضغط على اللسان

بعض الأدوات الطبية التي اخترعها الجراح العربي الشهير « أبـو القـاسم » ، والتي اعتمد الأطبـاء استعمالها خلال القرن الحادي عشر الميلادي .

الذي ولد في « لويزيانا » عام ١٩٠٨ من أبوين أحدهما لبناني والآخر أمريكي . وقد تخرج في جامعة « تولين » بولاية « نيو أورليان » ، ثم تابع دراسته في أوروبا الى أن أصبح رئيسا لدائرة الجراحة بجامعة « بيلر » في مدينة هيوستون بولاية تكساس ، ومحررا في نحو ١٦ مجلة طبية وعلمية . وقد انتخب عضوا في عدة جمعيات استشارية شكلتها الحكومة الأمريكية . وقبل أن يشترك مع بعض المهندسين في صنع القلب المساعد وتصميمه أجرى العديد من العمليات الجراحية في الحلق والقلب والأوعية الدموية .

والقلب المساعد هو عبارة عن مضخة هوائية مصنوعة من اللدائن والنسيج الاصطناعي تقوم بضخ الدم عوضا عن البطين الأيسر للقلب الذي تجري معالجته أو جراحته . وقد جرب هذا القلب عام ١٩٦٦ ونتيجة لتلك التجربة حظي الدكتور « دبغي » بشهرة واسعة . وفي خريف عام ١٩٦٨م استطاع هذا الجراح البارع ، بمعونة نحو ٧٠ جراحا آخر ، أن يزرعوا أربعة أعضاء في جسم انسان في أجسام أربعة مرضى ، وهذه الأعضاء هي : القلب ، واحدى الرئتين ، والكليتان ، وقد أكسبه ذلك شهرة على شهرة ، وأصبح من أعلام جراحة القلب البارزين في هذا العصر .

ولعل السير « بيتر مدور » ، اللبناني الأصل أيضا ، لا يقل شهرة عن الدكتور « ديبيكي » مع اختلاف واضح في مجالي اختصاصهما . فقد درس « مدوّر » في كليتي « مالبورغ » و « ماجدولين » في انجلترا ، حيث حصل على درجة بكالوريوس في علم الأحياء . وبعد ذلك نمت في نفسه رغبة في البحث والدراسة ، وخصوصا في النواحي البيولوجية الطبية . وقد نجم عن ذلك حصوله على عدة جوائز ومنح أكاديمية ، بما في ذلك الميدالية الملكية ، وعين في عام ١٩٦٢ في منصب مدير المعهد الوطني للأبحاث الطبية . وكان مجلس الأبحاث الطبية البريطاني قد طلب اليه والى البحاثة « بيرنت » خلال الحرب العالمية الثانية أن يبحثا مجتمعين سبب رفض الجسم البشري رقع الجلد المصاب ، بجلد انسان آخر ، وذلك لحاجة بريطانيا الى هذا النوع من الجراحة لمعالجة المصابين بالحروق من ضحايا الحرب . وقد خرجا بعد عدة سنوات من البحث والتجربة ، ساعدهما خلالها البحاثة « آر . بلنغهام » ، بأن تقبل مثل هذه الرقع وغيرها من الأعضاء أمر غير ممكن الا بتخدير الشخص المزمع زرعها في جسمه منذ وقت مبكر . وذلك بعد أن أجروا تجارب على بعض أجنّة الفئران ، فطعموا هذه الأجنة بأنسجة من فئران أخرى ، وبعد ولادتها أجروا عليها عمليـات الزرع فتقبلتها . وفي مارس ١٩٦٠م ألقى الأستاذ « مدوّر » عدة محاضرات حول استنتاجاته في كليات الطب . ونتيجة لجهودهما في هذا المجال حاز الأستاذ « مدور » والبحاثة « بيرنت » على جائزة نوبل للطب في ديسمبر من العام نفسه .

وإلى جانب الدكتور « دبغي » والأستاذ « مدوّر » ، هنالك بضعة أسماء أخرى أقل شهرة ، كالدكتور « فكتور نجار » أستاذ علم الاحياء المجهري في جامعة «فانديربت» الأمريكية ، والمشهور في الأوساط الطبية بمحلوله المسمى « محلول نجار » ، وبما يعرف « بأعراض كريجلر — نجار المتزامنة » في مجال التشخيص .

أما المحلول المعروف باسم « محلول نجار » فانه شائع الاستعمال لتغذية الأطفال الذين يعانون من نقص في التغذية ، أو الذين يتعرضون لحرارة أشعة الشمس أو الذين يفتقرون الى عناية جيدة .

وأما « أعراض كريجلر — نجار المتزامنة » فانها تتعلق بأمراض « الميتابلازما » لدى الأطفال التي ينتج عنها في حالات كثيرة تلف في الدماغ خطير . وقد وجد البروفسور « نجار » أن هذه الأعراض غالبا ما تكون نتيجة لعدم وجود الخميرة التي تنقي جسم الطفل من مادة « البيليروبين » عند الولادة .

ومنهم أيضا الدكتور « خليل واكيم » الذي هاجر من لبـنـان الى الولايات المتحدة ، ليصبح فيما بعد أستاذ علم الفسيولوجيا ، وأحد المستشارين في جامعة « مينيسوتا » . ثم عاد في عام ١٩٥٠ الى سوريا ، بناء على طلب الحكومة السورية ليساعد في اعادة تنظيم كلية الطب فيها ، وتطوير مستشفيات مدينة دمشق . ونتيجة لجهوده في سوريا منح الميدالية الذهبية ، وهي أرفع وسام تكريمي تمنحه عادة حكومتا سوريا ولبـنـان للأعلام البارزين .

ومن أشهر المشاركات في الطب الحديث من النساء العربيات الدكتورة « روزالي نمر عودة » الرئيسة السابقة للهيئة الطبية النسوية في الولايات المتحدة الأمريكية ، وهذا أعلى منصب طبي يمكن لامرأة أن تتقلده في الولايات المتحدة . وقد ولدت الدكتورة عودة في مدينة داكو بولاية تكساس عام ١٩٠٥ وهو نفس العام الذي تخرجت فيه أول طبيبة لبنانية ، هي الدكتورة « أنسطاس بركات » التي درست الطب في جامعة «هارفارد» . وقد تخرجت الدكتورة « عودة » في جامعة « جونز هوبكنز » وهي حاليا أستاذة تدريس مادة أمراض الأطفال في جامعة نيويورك ومديرة عيادة الأمراض الصدرية للأطفال في مدينة « بيليفو » . وقد اشتهرت بمقالاتها عن فقر الدم والسل .

واذا تساءلنا هل ما يزال هنالك جانب عربي من الطب الحديث الذي يدرس ويطبق حاليا في شتى أنحاء المعمورة كان الجواب على تساؤلنا انه لم يعد هنالك في الطب الحديث طب عربي وطب أمريكي وطب ألماني .. الخ . ان الطب مجال واسع شاركت فيه وما تزال جميع الأمم بلا استثناء .. بيد أنه لا يمكن بأية حال تجاهل دور العرب الأوائل في ترسيخ أسسه ومشاركة المحدثين منهم في بناء صرحه ■

رأيُ النّاقِد

بقلم الدكتور هاشم ياغي

في مطلع هذا الحديث أحب أن أطرح على القراء سؤالا قد يتاح له أن يجمع من حوله جانبا من ملامح الصورة التي أريد أن أصل اليها في نفوس القراء للناقد ولرأي الناقد معا . وهذا السؤال هو : ما مدى حاجتنا الى الناقد ، ومن ثم الى رأي الناقد ؟ وهل الناقد ورأيه أمران تحتاج لهما الحضارة الانسانية ؟ واذا كانت هذه الحاجة الأخيرة شيئا ملحا ولا غنى عنه فأين نحن من الناقد ورأيه ؟

وأنا أطرح مثل هذا السؤال ، لا لأعلي من شأن الناقد ورأيه ولا لأقلل من شأنهما ، وانما أريد أن أتلمس مع القراء أبعاد هذا الموضوع تلمسا علميا قدر المستطاع ، بعيدا عن الهوى والزلل والسطحية ، عسانا أن نقف عنده في زواياه المتعددة الخصبة فنجلو ما ينبغي أن نفعل ، ونفيد جميعا ما نستطيع أن نفيد من هذه الوقفات .

وأول ما أبادر الى نفيه من قارعة الطريق في هذا الحديث ما ترامى الى بعض الأذهان من قولة راجت عن بعض الألسن ، لعل من أبرزها ما جاء على لسان الناقد الشاعر المعروف «ت.س. اليوت » الذي يرى أن بعض النقاد الموهوبين من ذوي العبقريات الخلاقة قد قصرت بهم قواهم الأدبية المنتجة عن انشاء الأدب الرفيع فراحوا يتسلون ويتلهون بالنقد .

فنحن لا نستطيع أن نحمل الجوانب البارزة في هذه القولة على محمل الجد ، لأن صاحبها نفسه لم يحملها على ذلك ، وآية ذلك أنه سلك نفسه في عداد النقاد فأنتج نقدا أدبيا لافتا ، كما أنتج شعرا وأدبا لافتين . وسنرى حين نمعن النظر في حديثنا هذا مدى بعد هذه القولة عن الصورة الحقة للنقد وصاحبه .

ولعل ما يساوي هذه القولة بعدا عن الصواب قولة أخرى شائعة فحواها أن مهمة النقد تابعة في أهميتها لمهمة الأدب الانشائي ، اذ لولا الأدب لما قامت دنيا النقد . وفي هذه القولة مزالق كثيرة ، أهمها في نظري ضعف الرؤية ، أي ضعف رؤية هذه الأبعاد الفسيحة التي نراها في دنيا الأدب ، وفي دنيا النقد كذلك .

ولو كان مثل هذا المنطق صوابا لأهملت البشرية كثرة كاثرة من نشاطها في محاولة ضبط قوانين الطبيعة ، لأن ضبط هذه القوانين يتعرض في نظر هذا المنطق الضعيف الى التقليل من خطره ، اذ ما قيمة هذه المحاولات البشرية الجادة عبر العصور في القاء الأضواء على أبعاد هذه الطبيعة التي لم تكن من صنع الانسان ؟

ولست أود أن أمضي طويلا في صرف الأذهان عن هاتين القولتين السابقتين الضالتين والمضللتين معا ، اذ أن في أطراف هذا الحديث ما سيجلو شيئا هاما من صورة الناقد ورأيه فتتلاشى بذلك مثل هذه الأقوال التي تمت للقولتين السابقتين بسبب قريب أو بعيد .

إن الأدب والفنون عامة لون من ألوان النشاط الانساني الفسيحة المتعددة ، والانسان منذ أن درج وعيه على هذه الأرض يحث قواه كي يتعرف الى كل سر من أسرار الوجود الذي يلقاه . وأسرار هذا الوجود متشعبة ، منها ما هو في الطبيعة من حوله ، ومنها ما هو في طبيعته هو ومنها ما هو في طبيعة نشاطه على تعدده وتشابكه . وفي حث الانسان قواه كي يتعرف الى جميع هذه الأسرار شيئا فشيئا وبالحاح واصرار لافتين يكمن بناء الحضارة الانسانية عبر العصور . وقد كان لذلك كله مظاهر وميادين متعددة . هي مظاهر الحضارة البشرية وميادينها الكثيرة . وكان من آثار ذلك كله أن قامت مناهج متعددة وكثيرة تحاول أن تعين الانسان في ضبط ألوان نشاطه على كثرتها وتشعبها وتعقدها . وأحسب أن العصر الحديث بميله الجارف نحو التخصص قد ذاق طعم مناهج البحث المختلفة التي كان لها فضل تعميق هذه الألوان من البحث ، وهذه الألوان من نشاط الانسان في حضارته . وأحسب كذلك أن من البداهة أن نقول أن النقد الأدبي أو راي الناقد في حقيقته وجوهره ليس الا لونا من ألوان البحث الانساني ، مادته الأدب وفن القول . ومن هنا تكون مسؤولية النقد أو ما أطلقنا عليه في هذا الحديث رأي الناقد أمام الأجيال والحضارة والانسانية كبيرة بل كبيرة جدا . ومن هنا كذلك تتشابك هذه المسؤولية الكبيرة مع مسؤوليات أخرى مثلها أخذت على عاتقها أن تضيىء الطرائق أمام الانسان في بحث أنواع نشاطه ونشاط الطبيعة من حوله ، ومن هنا أيضا كان على النقد أن يتضافر جهودا مع مناهج البحث الأخرى في حضارة الانسان ، وأن يعرف كيف يفيد منها ويعطيها ، فيصبح بذلك فرعا من الدراسات الانسانية الخصبة الواسعة ، وأن يعرف حدوده فلا يخلط بينها وبين غيرها من حدود الدراسات الأخرى ، وبذلك كله يصبح في وسع النقد أن يوسع من أبعاد النشاط الأدبي في أشكاله وأنواعه المختلفة ، توسعة لا تستغني عنها أية أمة متحضرة .

وكم من الأبعاد النقدية استطاع النقاد أن يشيروا اليها ، وأن يسلطوا الأضواء عليها في نص من النصوص بحيث كشفت أو أسعفت على كشف عناصر جمال هذا النص ، وصلتها الواسعة الوثيقة بنفس صاحب هذا النص ، وروابطها بنوع المجتمع الذي انبثق النص من خلاله ، ووشائجها كذلك بمستوى الحضارة التي كانت تحف بصاحب هذا النص ومجتمعه من قريب ومن بعيد في الفترة الزمنية والفسحة المكانية لتلك الحضارة . ومن هنا يتبين لنا أهمية هذه الصلة بين النقد وبين سائر ميادين الحضارة ، كما يتبين لنا مدى سعة ميادين النقد وبخاصة في عصرنا الحديث المركب المعقد . ولكن ذلك كله يزيد من مشكلات النقد وقضاياه الشائكة ، ويزيد من صعوبة الطريق أمام الناقد الذي يتعين عليه أن يفيد من كل ما وصلته المعارف الانسانية من مستويات ليظل الرباط

الوثيق بين النقد ومكاسب الحضارة الانسانية قائما ومستمرا في حركته التصاعدية الخصبة . وليس هذا وحده هو الذي يتعين على الناقد أن يتنبه لـه ويفيد منه ويقدره قدره ، ولكنه مطالب في الوقت نفسه أن يتنبه للفروق القائمة بين مناهج العلوم وأنواع النشاط الانساني على اختلافها وبين منهج النقد ورصد النصوص الأدبية . فمنهج النقد شائك معقد ، ولكنه على كل حال لا بد له من أن يتكىء على فلسفة شاملة عامة يتزود بها الناقد في مواقفه المتعددة من جميع أمور الحياة .

ولعل هذه الفلسفة العامة التي يتكىء عليها الناقد في توضيح مواقفه من أمور الحياة المختلفة هي التي تيسر على الناس ادراك منهج الناقد ومواقفه من أي نص أدبي ومن أي صلة تقوم بين النص وبين صاحبه الذي أنشأه ثم من أي صلة تقوم بين النص والمجتمع الذي انبثق هذا النص من خلاله ، ثم من أي صلة أخرى تنشأ بين النص والمستوى الحضاري لمجتمع هذا النص ، وكذلك المستوى الحضاري العالمي الواسع من حوله ومواقف الناقد من الحياة عامة . ومدى انسجام هذه المواقف مع قضايا الأدب والفن والنقد هي التي تميز ناقدا من ناقد . وهي التي تلعب دورا هاما في مدى قدرة الناقد على التوفيق بين الجوانب العلمية المختلفة لمنهجه والجوانب الفنية في الوقت نفسه ، ومن ثم تكون المرانة والدربة العقليتان في كشف جوانب الطريق في بحث النشاط الأدبي الانساني مجتمعتين الى مرانة ودربة أخريين وجدانيتين يستغلهما الناقد في تذوق العمل الأدبي وفي تنسم روائحه الفنية .

واذا كان مدلول النقد يتسع ويزيد خصبا كلما اتسعت حضارة البشرية ، فان هذا لا يعني أن تراثنا العربي القديم لم يدرك طرفا من مهمة النقد الرئيسية في وقت مبكر من حياته ، فنحن في هذا الجانب ذوو موقف معروف عريق .

فقد ورد في كتاب « طبقات فحول الشعراء » لمحمد بن سلام الجمحي قولته المشهورة : قال قائل لخلف : اذا سمعت أنا الشعر واستحسنته ، فما أبالي ما قلت فيه أنت وأصحابك . قال له خلف : اذا أخذت أنت درهما فاستحسنته ، فقال لك الصراف أنـه ردىء ، هل ينفعك استحسانك له ؟ وورد في كتاب ابن سلام هذا قوله أيضا : « للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهـل العلم ، كسائر أصناف العلم والصناعات ، منها ما تثقفه اليد ، ومنها ما يثقفه اللسان ، ومن ذلك اللؤلؤ والياقوت : لا يعرفان بصفة أو وزن ، دون المعاينة ممن يبصره » . واذن فنحن في مجال النقد ذوو مواقف عريقة كانت تنسجم مع مستوى الحضارة التي وصل اليها أجدادنا ، لذلك لا بد من أن يكون لنا في عالم النقد الفسيح مواقف تنسجم مع مستوى الحضارة الحديثة وما استطاعت البشرية أن تصل اليه من مكاسب .

المدارس النقدية الحديثة

اذا كنا قد وقفنا وقفة عند مكانة النقد الأدبي في الحضارة الانسانية فاننا نود أن نقف وقفة عند جانب من هذه المدارس النقدية الحديثة . وأول ما أبادر الى ذكره ان المدرسة النقدية كغيرها من مدارس الفكر الأخرى من حيث سعة الآفاق التي تحدها وامتداد الميادين التي تمكن للنقاد في المدرسة الواحدة من أن يقفوا مواقف كثيرة مختلفة ومتعددة ولكنها في الوقت نفسه تقع ضمن اطار واحد يتلون بهذا اللون العام الذي يطبع مدرسة دون غيرهـا بطابعه المستمد من القدر المشترك القائم بين مواقف النقاد المختلفين في المدرسة الواحدة نفسها .

ونحن حين نقول المدارس النقدية الحديثة انما نذهب الى هذه المواقف المختلفة الكثيرة التي يقفها النقاد الكثيرون على تعدد مدارسهم ، والتي تحمل من سمات العصر الحديث قدرا كبيرا يميزها من المدارس النقدية القديمة . وسمات العصر الحديث في رأيي مردها قبل كل شيء الى التطور الـذي اتيح للمجتمعات الانسانية فمكنها من أن تنتقل من أحوالها القديمة الى أحوال حديثة .

ومن هنا يجدر بنا أن نتنبه الى الينبوع الحديث العام الذي تغرف منه مختلف المدارس النقدية والأدبية والفكرية الحديثة ، وهو ينبوع المجتمعات الانسانية الحديثة ، وأن نحذر من السذاجة التي حملت كثرة من الكتاب على أن يتلمسوا الفروق بين المدارس النقدية في بعض أشكال الكتابة الظاهرية القريبة وحدها ، وأن نحذر كذلك من الخلط الذي وقع فيه بعض الكتاب الذين حلا لهم أن يروا في المدارس النقدية والأدبية شيئا من التناوب في صورة ردود فعل ، وأن يقولوا ان الفترات الأدبية والنقدية الحديثة عرفت الكلاسيكية وهي تدفع الناس الى الرومانسية ، ثم عرفت الرومانسية وهي تدفع الناس الى الكلاسيكية ، ومن ثم تناوبت هاتان المدرستان على المسرح غير مرة ، والتحذير من هذا الخلط يوفر علينا جهودا كثيرة تمكننا من رؤية الينبوع الأصيل في نشأة هذه المدارس الأدبية والنقدية والفكرية المختلفة وهو ينبوع التطور في المجتمعات الحديثة .

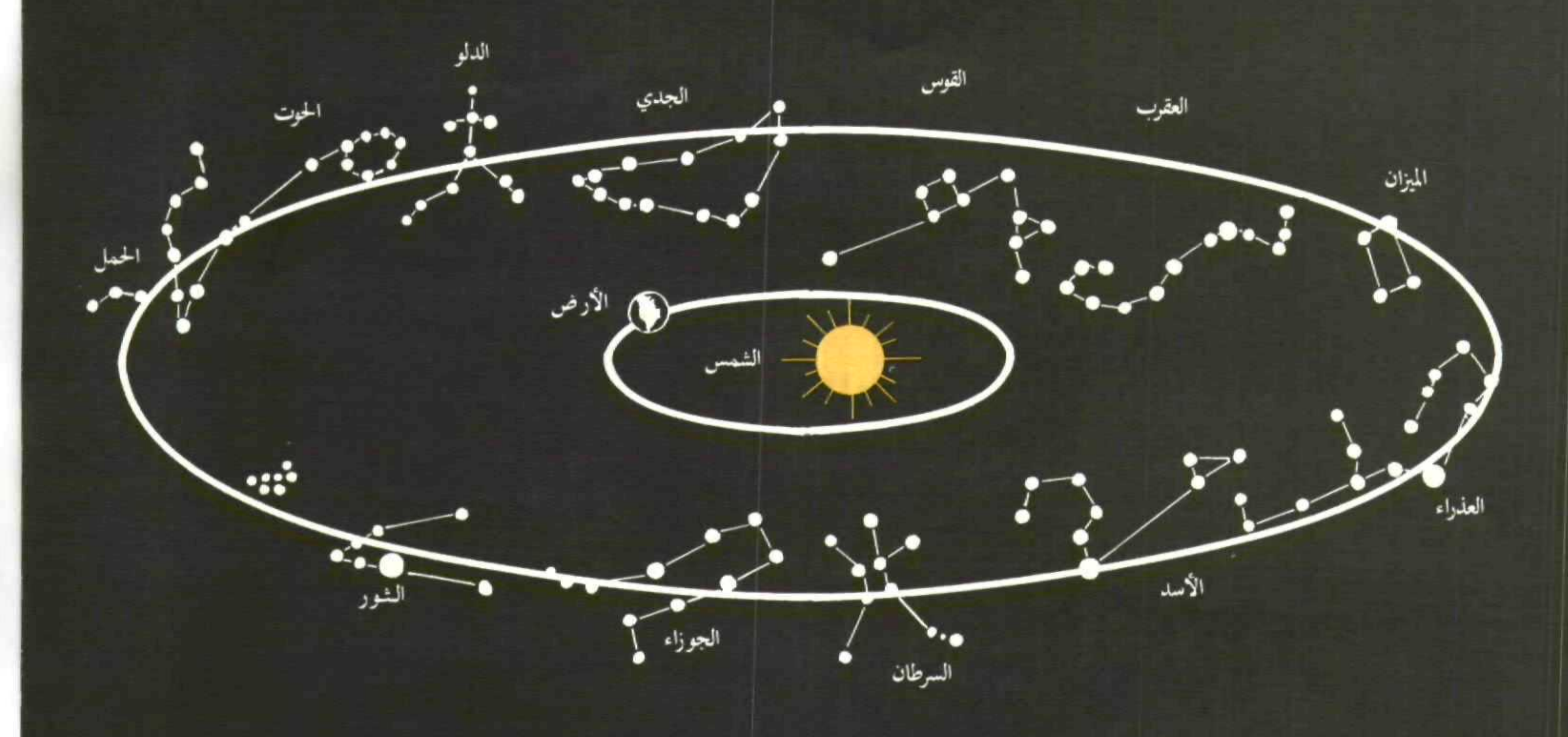
واذن فالانماط التعبيرية والفكرية ليست في حقيقة أمرها الا تعبيرا عن مواقف في الحياة تتلون بلون الأحوال التي تمر بها المجتمعات البشرية . واذا كانت الكلاسيكية اسلمت زمام الأمور للرومانسية فان الرومانسية قد استطاعت أن تكون النمط التعبيري الجديد لمجتمع جديد أيضا .

ولكن الجدة أمر نسبي في هذه الحياة . وما نجده جديدا في فترة لا يلبث أن يتقادم عليه العهد فيصبح قديما أو كالقديم ومن ثم تفرض الحياة بحكم مطامح ذويها الجديدة انماطا جديدة أخرى تصطرع بادىء الأمر مع تلك التي سبقتها ، ثم تستأثر آخر الأمر بزمام التعبير عن حاجات الناس ومطامحهم التي أخذت تبرز وتخلف حاجات ومطامح قديمة .

واذا كانت فئات الطبقات المتوسطة هي التي برزت في حياة المجتمع الفرنسي وفرضت تبعا لذلك ألوانا من التفكير والتعبير في الأدب والنقد غلبت عليه المدرسة الرومانسية فان هذا لا يعني أولا ان الرومانسية ستظل خالدة ، ولا يعني كذلك ان الرومانسية ستعيد المجال للمدرسة الكلاسيكية التي كانت تعبيرا عن مجتمع قديم سابق لمجتمع الفرنسيين بعد الثورة الفرنسية ، ولا يعني أيضا ان الرومانسية على ما في مواقفها المختلفة من قدر مشترك وسمات عامة ، وجه واحد من وجوه التعبير . ان الرومانسية وجوه مختلفة من التعبير والتفكير والتقاليد ، وان انماط الحياة والمواقف فيها يربط بينها جميعا رباط واحد وثيق .

وأصحاب هذه الفئات من الناس كما أشرنا ليسوا ذوي مواقف واحدة في الحياة وانما تتطور أحوالهم ويقف منهم أناس مواقف ايجابية ويقف اناس آخرون مواقف سلبية . ويمضي بهم الزمن وعوامل التطور حتى يصبح الايجابيون في طرف والسلبيون في طرف آخر مقابل لهم . ومن ثم يجد الايجابيون في انماط من التعبير الأدبي والنقد والتفكير مثلهم الأعلى ، ويجد السلبيون في أنماط أخرى من التعبير الأدبي والنقد والتفكير مثلهم الأعلى الآخر . وهكذا تنشأ مدرسة أطلق النقاد عليها المدرسة الرمزية في أحضان المدرسة الرومانسية . ولهذا نجد قدرا كبيرا مشتركا بين اتجاهات التعبير في المدرسة الرومانسية والمدرسة الرمزية .

وهكذا نجد ان المدارس النقدية والأدبية والفكرية ليست الا وليدة ألوان من التطور في المجتمعات الانسانية ■



رسم لمدار البروج يبين منازل الشمس على مدار السنة كما يراها سكان الأرض

مَنازِل الشمْس والقمَر على مَدار السَّنة

بقلم الدكتور نقولا شاهين

إن ما نشاهده اليوم من ارتباط وثيق بين الأرض والشمس والقمر ، ظاهرة قديمة قدم الزمن ، ولم يطرأ أي تغيير جوهري على العوامل الفلكية التي يقوم عليها هذا الارتباط . فالقمر يدور حول الأرض دورة كاملة ، ويعود الى المركز الذي كان فيه أولا ، بالنسبة للنجوم في مدة ٢٧ يوما وثلث اليوم تقريبا ، ويطلق على هذه المدة اسم « الشهر النجمي » . وفي هذه المدة يدور القمر حول نفسه دورة كاملة مما يجعل رؤية نصفه الخلفي أمرا غير ممكن لعدم مواجهته للشمس . وقد تمكن رجال الفضاء مؤخرا من تصوير هذا الجزء المظلم من القمر ، بواسطة مركبات فضائية اتخذت لنفسها مدارا حوله . أما تكوّن وجوه القمر فيتوقف على المقدار الذي نستطيع أن نراه من نصفه المنير أثناء مشاهدتنا اياه من الأرض .

ولما كان سير القمر بين النجوم أسرع من سير الشمس ، فانه يجتازها في أزمنة تكاد تكون قانونية ومتساوية . وبما أن أوجهه تتوقف على مركزه المقابل للشمس ، فان المدة بين وقت ظهور الهلال الفلكي والذي يليه هو الشهر القانوني ومعدله نحو ٢٩ يوما و ١٢ ساعة و ٤٤ دقيقة و ٣ ثوان . ومقدار اختلافه نحو ١٣ ساعة . وذلك بالنسبة الى مباينة فلك القمر ، لذلك لا يوجد شهران قمريان قانونيان متساويان في الطول .

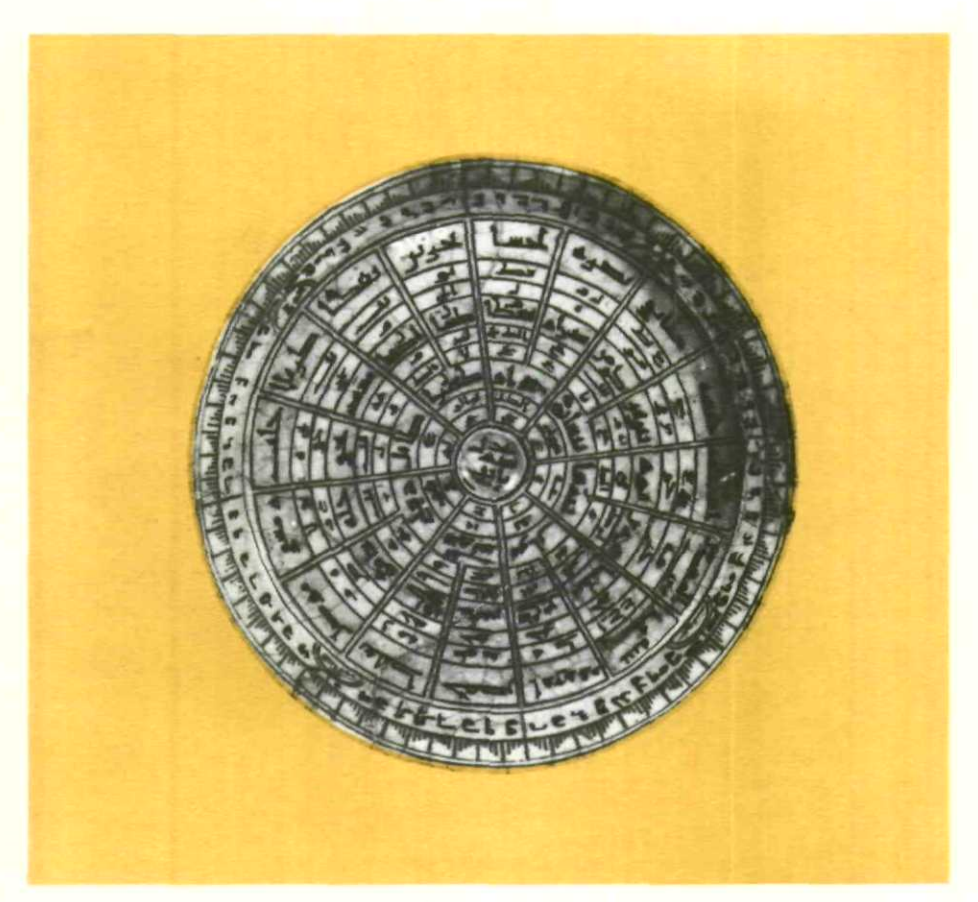
ومن يراقب الشمس على مدار السنة ، يجد أنها تحتل ، من وقت الى آخر ، مراكز مختلفة ، ويرافق ذلك تطورات على سطح الأرض تعرف بالفصول . أما القمر فانه يبدو لنا في أوضاعه المختلفة بشكل جلي كل شهر ، فيصل الى أبعد الحدود جنوبا ، ثم الى أبعد الحدود شمالا ، ويعود بعدها من حيث بدأ تقريبا . وقد توصل رجال الفلك الأقدمون الى تعيين مراكز الشمس والقمر في الأوقات المختلفة . بالنسبة الى تجمعات النجوم المعروفة بالأبراج أو البروج .

دائرة البروج

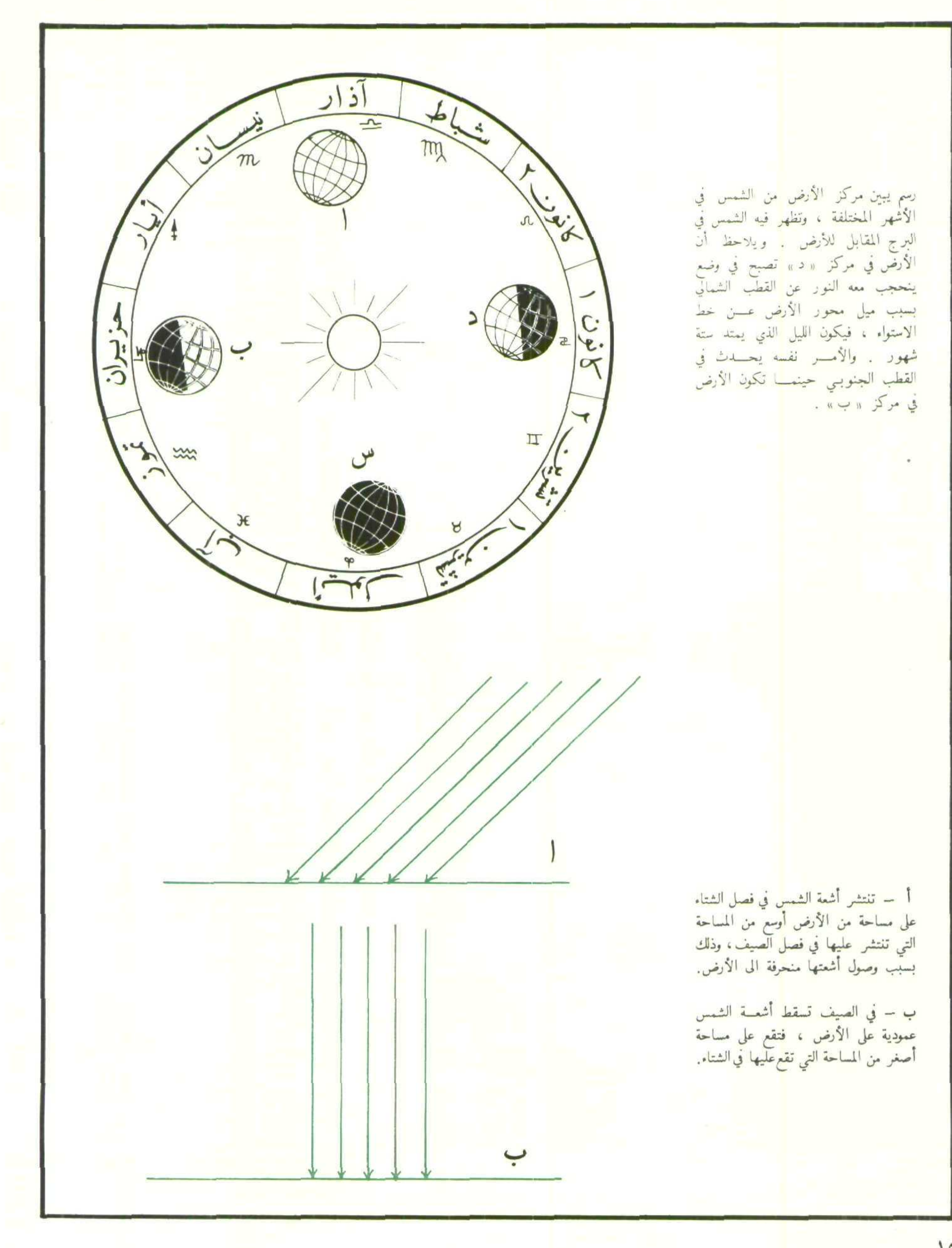
تشكل دائرة البروج التي تنزل فيها الشمس على مدار السنة منطقة يبلغ عرضها ١٦ درجة ، ويتوسطها ممر الشمس الظاهري ، وهي تحتوي على اثني عشر برجا تحمل أسماء حيوانات ، ما عدا برج الميزان . وفي دائرة البروج هذه ، تقع الكواكب السيارة الرئيسية ، وكذلك القمر ، على مدار السنة ، وهي متوسطة بين صدر النصف الشمالي والنصف الجنوبي في السماء . وتميل هذه الدائرة على خط الاستواء السماوي بمقدار ٢٣ درجة و ٢٧ دقيقة و ٨ ثواني (حسب مقاييس عام ١٩٠٠) ، وينقص هذا الميل بمعدل ٥٠,٢ ثانية كل سنة تقريبا الى أن يصل الى الحد الأدنى ، ثم يعود فيزداد ، وهكذا .. وتتم الدورة في مدة ٢٥ ٨١٧ سنة تقريبا . فدائرة البروج تساعد علماء الفلك في الواقع على معرفة موقع الشمس لكل يوم بالنسبة الى خط الاستواء ، ففي ٢٢ ديسمبر يكون الميل الأعظم جنوبا لدائرة البروج على خط الاستواء السماوي ، ثم ينقص هذا الميل شيئا فشيئا حتى يتلاشى في ٢١ مارس ، ثم يزداد تدريجيا شمالا ، وفي ٢٢ يونيو ، يكون الميل الأعظم شمالا ، ثم ينقص ويتلاشى في ٢٢ سبتمبر .

منازل الشمس في حركتها الظاهرية

تقطع دائرة البروج خط الاستواء السماوي في نقطتين ، هما : نقطة الاعتدال الربيعي ونقطة الاعتدال الخريفي ، وتبلغ المسافة بينهما ١٨٠ درجة . أما نقطة الاعتدال الربيعي فتمثل مركز الشمس في ٢١ مارس ، بينما تكون الشمس في مركز الاعتدال الخريفي يوم ٢٣ سبتمبر . وقد قسم الفلكيون دائرة مدار البروج الى ١٢ قسما ، يرمز كل قسم منها الى ٣٠ درجة على تلك الدائرة ، وأطلقوا على كل قسم اسما يتفق مع وضعه بين البروج ، لذلك نراهم يطلقون



صحن من الخزف رسمت عليه البروج والمصطلحات الفلكية ، ويرجع عهده الى الفترة الواقعة بين القرنين السابع والثامن للهجرة . وهو يدل دلالة واضحة على مدى الشأو الذي بلغه العرب في هذا المضمار .



رسم يبين مركز الأرض من الشمس في الأشهر المختلفة ، وتظهر فيه الشمس في البرج المقابل للأرض . ويلاحظ أن الأرض في مركز « د » تصبح في وضع ينحجب معه النور عن القطب الشمالي بسبب ميل محور الأرض عن خط الاستواء ، فيكون الليل الذي يمتد ستة شهور . والأمر نفسه يحدث في القطب الجنوبي حينما تكون الأرض في مركز « ب » .

أ – تنتشر أشعة الشمس في فصل الشتاء على مساحة من الأرض أوسع من المساحة التي تنتشر عليها في فصل الصيف، وذلك بسبب وصول أشعتها منحرفة الى الأرض.

ب – في الصيف تسقط أشعة الشمس عمودية على الأرض ، فتقع على مساحة أصغر من المساحة التي تقع عليها في الشتاء.

على القسم الأول الذي يبتدىء عند الاعتدال الربيعي اسم « برج الحمل » . حيث يتساوى الليل والنهار . وفي هذا البرج تحل الشمس فترة تمتد من ٢١ مارس الى ٢٠ أبريل ، ثم تنتقل بعد ذلك الى « برج الثور » لفترة تمتد من ٢١ أبريل الى ٢١ مايو . وبعدها تنتقل الى « برج الجوزاء » وتحل فيه من ٢١ مايو الى ٢١ يونيو حيث يكون أطول يوم في السنة ، وتعرف هذه البروج الثلاثة بمنازل الربيع .

أما منازل الصيف فهي « السرطان » ، حيث يمتد بقاء الشمس فيه من ٢٢ يونيو الى ٢٢ يوليو ، ثم « الأسد » حيث تنزل الشمس من ٢٣ يوليو الى ٢٣ أغسطس وأخيرا « برج العذراء » وتبقى فيه من ٢٤ أغسطس الى ٢٣ سبتمبر فيكون الاعتدال الخريفي ، ويتساوى الليل والنهار .

وتنزل الشمس في الخريف في « برج الميزان » خلال الفترة الممتدة من ٢٤ سبتمبر الى ٢٣ أكتوبر ، وفي « برج العقرب » من ٢٤ أكتوبر الى ٢٢ نوفمبر . وفي « برج القوس » من ٢٣ نوفمبر الى ٢١ ديسمبر ، حيث يكون أقصر نهار في السنة .

ومنازل الشتاء التي تنزل فيها الشمس ثلاثة ، أولها : « الجدي » وتنزل فيه الشمس خلال الفترة الممتدة من ٢٢ ديسمبر الى ٢١ يناير ، ويليها « الدلو » وتمتد فترته من ٢١ يناير الى ١٨ فبراير ، ثم « الحوت » وتمتد فترته من ١٩ فبراير الى ٢١ مارس ، حيث يتساوى الليل والنهار ، فتكون الشمس قد أكملت دورتها السنوية .

وجدير بالملاحظة أن أسماء البروج المعروفة بها اليوم لا توافق الصور المسماة بها ، بل انحرف موقع البروج درجة ٢٨ الى غربي صورها ، فصورة الحمل هي اليوم في برج الحوت ، وهكذا قل عن الصور الباقية ، فكأن كل صورة قد تراجعت الى البرج الواقع غربها . وقد كان الأمر يختلف عما كان عليه في أوائل عهد تقسيم دائرة البروج وذلك في عام ٢١٥٦ قبل الميلاد . فقد كان كل برج يوافق صورته آنذاك . وسيكمل دورة الانحراف وتعود الأمور الى ما كانت عليه بعد ٢٢٠٠٠ سنة من الآن . وليس من مجال هنا لبحث أسباب هذه الظاهرة بالتفصيل ، فاكتفينا بالاشارة اليها .

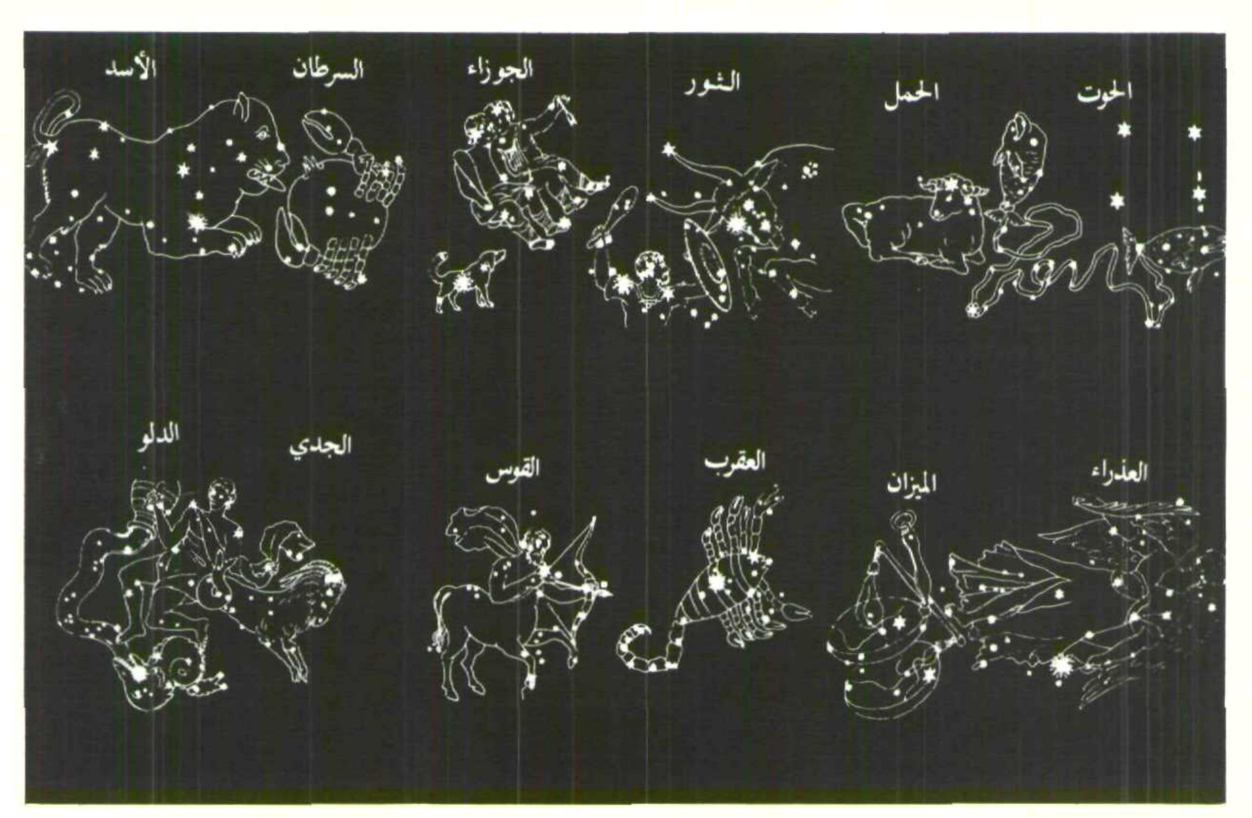
هنالك مناسبات عديدة تناول فيها الشعراء العرب ذكر النجوم والبروج والكواكب السيارة ، وأفردوا لها صفحات من الوصف الجميل الرائع فبدت أكثر بهاء وأروع جمالا . كما وفق الأدباء العرب الى نظم قواعد اللغة والشعر والبيان وتقاليد العرب شعرا ، فسهل بذلك حفظ الوقائع ، لما في أبيات الشعر من ارتباط واتزان .. من ذلك أبيات للشيخ « ناصيف اليازجي » في هذا المضمار ، مثبتة في كتابه « مجمع البحرين » . نذكر منها ما يلي:

من البروج في السماء الحمل
تنزل فيه الشمس اذ تعتدل
والثور والجوزاء نعم المنزلة
وسرطان أسد وسنبله
كذلك الميزان ثم العقرب
قوس وجدى دلو حوت يشرب

وبرج السنبلة هو نفسه المعروف ببرج العذراء .

صفحة من مخطوطة عربية تحمل صورة لبرج « الحمل » على كيفية ما يرى في الكرة الأرضية وعلى كيفية ما يرى في السماء .





رسم لأشكال البروج ، كما تخيلها الأقدمون من اليونان والبابليين ، وهي تقع في دائرة مدار الشمس أي مدار البروج .

الفصول كنتيجة لوجود الشمس في منازلها المختلفة ولموازاة محور الأرض لنفسه دوما

هنالك أسباب رئيسية تكمن وراء تغير فصول السنة والتطورات العديدة في العوامل الطبيعية التي تحيط بنا ، وتعود هذه الأسباب الى أمرين ، أولهما ميل دائرة البروج على خط الاستواء ، وثانيهما موازاة محور الأرض لنفسه تقريبا دائما أثناء الدوران . ولو كانت دائرة البروج في موازاة خط الاستواء ، لبقيت الشمس على خط الاستواء دائما . ولكن انحراف محور الأرض عموديا عن دائرة البروج بمقدار ٢٣ درجة و ٢٧ دقيقة و ٨ ثوان ، كما ذكرنا سابقا ، يؤدي الى انحراف خط الاستواء بهذا المقدار عن موازاة دائرة البروج ، وبالتالي الى حدوث تقاطع بين الدائرة الاستوائية ودائرة البروج في نقطتين متقابلتين ، مما يجعل الشمس تقع على خط الاستواء مرتين كل سنة ، وتبعد عنه تدريجيا شمالا وجنوبا .

وعندما تكون الأرض واقعة في أحدى نقطتي الاعتدال ، تصبح الشمس عمودية على خط الاستواء ، ويكون نصف الأرض منيرا من قطب الى قطب . وحينما تصل الأرض الى أقصى مدارها الشمالي ، يمتد القسم المنير ٢٣ درجة و ٢٧ دقيقة و ٨ ثوان وراء القطب الشمالي ، ويتراجع بالمقدار نفسه عن القطب الجنوبي . ويحصل العكس متى كانت الأرض في مدارها الجنوبي . ولو لم يكن محور الأرض موازيا لنفسه دوما ، لما كان الأمر كذلك . ونتيجة لذلك يحدث اختلاف كبير في طول النهار والليل صيفا وشتاء في المناطق التي تقع بين خط الاستواء والقطب ، بحيث يصبح طول النهار صيفا ٢٤ ساعة وكذلك طول الليل شتاء في داخل الدائرة القطبية ، أي يكون الصيف عند القطب يوما واحدا طوله ستة أشهر ، ويكون الشتاء هناك أيضا يوما واحدا طوله ستة أشهر . أما عند خط الاستواء فيتساوى الليل والنهار دائما على مدار السنة ، فلا تحدث فصول بالعرف المألوف ، كما هي الحال في المناطق الشمالية والجنوبية ، بل يحدث التغيير الجوهري في هطول الأمطار وفي حدوث الجفاف بسبب تغير اتجاه الريح .

ولما كانت الأرض اهليليجية فانها تكون أبعد عن الشمس في أيام الصيف منها في الشتاء . أما سبب زيادة الحر في الصيف فيعود أولا الى طول النهار بالنسبة الى الليل ، لأن حرارة الأرض التي تكتسبها من الشمس تنقص بالاشعاع دوما .. فان زاد الليل طولا ازدادت مدة الاشعاع على مدة اكتساب الحرارة ، فكان البرد ، والعكس بالعكس . وثانيا الى انتشار أشعة الشمس على مساحة أوسع في أيام الشتاء من المساحة التي ينتشر عليها في الصيف لوصول الأشعة الى الأرض مائلة في الشتاء وعمودية في الصيف .

منازل القمر

اذا راقبنا سير القمر يوميا ، وعيّنا مركزه بالنسبة للنجوم بآلات دقيقة ، يرتسم أمامنا مساره الظاهري ، كما هي الحال مع الشمس . لكن هذا المسار هو بشكل دائرة تقريبا ، ويميل

على دائرة البروج بمقدار ٥ درجات و ٨ دقائق ، ويقطعها في نقطتين عرفتا بالعقدتين ، وبينهما ١٨٠ درجة . فاذا كان القمر متجها في سيره من الجنوب الى الشمال من دائرة البروج ، كانت نقطة التقاطع هي العقدة الصاعدة ، والأخرى هي العقدة النازلة .

ولعل من بين الأمور التي تسترعي انتباه سكان الأرض ، حركة القمر بالنسبة لأحد النجوم بين ليلة وأخرى ، اذ ينتقل القمر كل ليلة نحو ١٣ درجة شرقي النجم المذكور ، وهذا يعادل نحو ٥١ دقيقة ، فيتأخر القمر في طلوعه بمقدار يتراوح بين ٣٨ دقيقة و ٦٦ دقيقة . وتختلف هذه المدة باختلاف عرض المكان ، فبالقرب من المناطق القطبية تزداد زيادة كبيرة فيظل القمر ظاهرا حول القطب لبضعة أيام ، وذلك مرة في كل شهر .

ويرافق هذه الحركة من الغرب الى الشرق تنقلات للقمر من الجنوب الى الشمال ، ومن الشمال الى الجنوب ، لكن القمر لا يعود أبدا الى الموقع الذي يتخذه بين النجوم في نهاية كل شهر ، وذلك بسبب اضطرابات تتخلل حركاته ، تحدثها جاذبية الشمس للقمر بالدرجة الأولى ، وجاذبية الأرض له بالدرجة الثانية . وينتج عن هذه الاضطرابات تطورات ، منها تراجع العقد ، اذ أنها تنحرف غربا على مدار البروج ، كما هي الحال في مبادرة الاعتدال الربيعي ، لكنها تعود الى مركزها في مدة ١٩ عاما بدلا من ٢٦٠٠٠ عام ، وهو زمن دورة الاعتدال الربيعي .

وقد درس علماء الفلك العرب تنقلات القمر بدقة فائقة ، لأنه كان بالنسبة اليهم بمثابة الوسيلة الدقيقة لمعرفة الوقائع الشهرية ، ولا تزال الأشهر القمرية تحتل مكانة مرموقة لتسجيل الوقائع في بلدان عديدة ، لأنها رافقت تقدم العمران ، وكانت الأساس لحفظ سجلات الماضي . لذلك نرى العرب يعطون للقمر ٢٨ منزلة ، وذلك بحسب موقعه بين النجوم على مدار السنة .

ومن هذه المنازل سبعة أطلق عليها اسم منازل الربيع ، وهي : الشرطان ، والبطين وهما يقعان في برج الحمل ، والثريا ، والدبران وهما يقعان في برج الثور ، والهقعة وتقع في برج رأس الجبار ، والهنعة وتقع في رجل برج التوأمين ، والذراع ويقع في ذراع برج التوأمين .

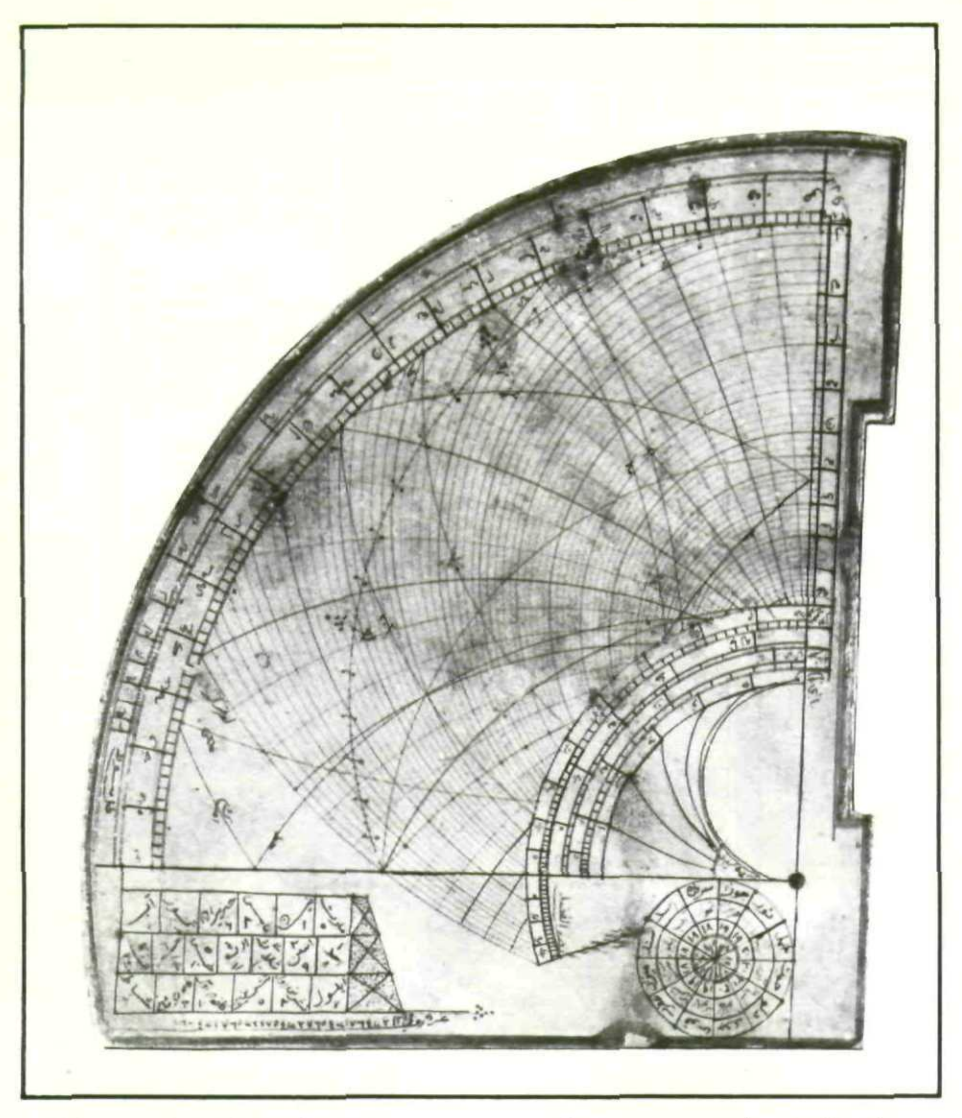
أما منازل الصيف فهي سبعة أيضا : النثرة وهي المعلقة في برج السرطان ، والطرف والجبهة ، والزبرة ويقال له الخراتان أيضا ، والصرفة وهذه الأربعة تقع في برج الأسد . ثم الصواء ، ثم السماك الأعزل .

ومنازل الخريف سبعة ، هي : الغفر وتقع في رجل برج السنبلة ، وزبانا العقرب ، والاكليل وتقع في رأس برج العقرب وقلب العقرب ، وشولة العقرب ، والنعائم ، والبلدة ، وهي رقعة من السماء لا كوكب بها وتقع بين النعائم وسعد ذابح .

أما منازل الشتاء فسبعة أيضا ، وهي : سعد ذابح ، وسعد بلع ويقعان في برج الجدي ، وسعد السعود ، وسعد الأخبية ، والفرغ المقدم ، والفرغ المؤخر ، وهذه الأربعة تقع في برج الدلو ، ثم بطن الحوت .

وقد حفظ الشعر العربي هذه المنازل في أبيات نظمها الشيخ ناصيف اليازجي .. هي تفكهة للقارىء واحياء لجهود كادت الأيام أن تمحي معالمها :

الشرطان أول المنازل
وبعده البطين في القوابل
ثم الثريا الدبران الهقعة
كذلك الذراع بعد الهنعة
نثرة طرف جبهة غراء
وزبرة وصرفة صواء
ثم السماك الغفر والزبانا
كذاك اكليل وقلب بانا
والشولة النعائم البلدة مع
تلك وسعد ذابح سعد بلع
سعد السعود ثم سعد الاخبية
وفرغها المقدم المستلبية
وبعد ذاك فرغها المؤخر
كذاك بطن الحوت ختما يذكر



ربع دائرة فلكية من الخشب ، رسمه الفلكي « سيري » ، وهي تساعد في معرفة ارتفاع النجم عن الأفق .

القصة في الأدب العربي الحديث

بقلم الاستاذ خليل ابراهيم الفزيع

تكاد القصة أن تكون اللون الأدبي المفضل لدى جمهور القراء على مختلف مستوياتهم وتباين مشاربهم ، اذ يجد القارىء في القصة ما يود أن يجده على مسرح الحياة . وربما يتمنى ان يعيش حياة احدى شخصيات القصص التي قرأها ، رغم ما قد يكتنف ظروف هذه الشخصية من ملابسات ، ليس هذا فقط .. بل ان أكثر الذين ينوون دخول ميدان الأدب يلجونه من هذا الباب لاعتقادهم بسهولته ويسره. ولو علموا ان هذه السهولة وهذا اليسر ناتجان عن اصالة وقدرة ومران لدى الكتاب لما سارعوا للخوض في ميدانها قبل التسلح بفهمها والالمام بمتطلباتها .

فكتابة القصة ليست بالمهمة اليسيرة السهلة كما يتبادر الى الأذهان . وانما تعد من أصعب الأعمال الأدبية وأكثرها تعقيدا . لأن كاتب القصة يحتاج الى الخيال كما يحتاج اليه الشاعر ، ويحتاج الى التبرير كما يحتاج اليه كاتب المقالة ، ويحتاج الى التحكم في الحوار كما يحتاج اليه كاتب المسرحية . والى جانب ذلك فكاتب القصة بحاجة الى امتلاك القدرة على تصوير الشخصيات والابتعاد عن تقرير مصيرها وتركها تتصرف حسب مقتضيات المواقف أو الأحداث ، وهذا لن يضفي عليها السلبية كما قد يتبادر الى الأذهان ، ولكنه يمنحها الصدق في التأثر بتلك المواقف والأحداث ، وأي تدخل من كاتب القصة في توجيه تصرفات الشخصيات سوف يفقد القصة حبكتها وانسيابها الطبيعي المنسجم مع طبيعة الأحداث غير المتنافرة .

قد يتصرف كاتب القصة في مكان القصة وزمانها كأن يختار أو يكوّن مكانا ملائما لأحداث قصته ، أو لا يتقيد بالتسلسل الزمني لوقائعها ، ولكنه لا يتصرف في طبيعة النفس البشرية، وما يجب أن تقوم به من أعمال معينة تحت ظروف معينة . فهناك الكثير من الأعمال القصصية التي حظيت بشهرة عالمية يعود سبب شهرتها الى اكتشاف كتابها لاسرار النفس البشرية . وقد حاول بعض الكتاب الغربيين الخروج على المقاييس المتعارف عليها في كتابة القصة ، ولكن محاولاتهم هذه كانت تتناول طريقة البناء القصصي فحسب .

واذا أتينا الى مشكلة الحوار نجدها لا تتوقف عند ذلك النقاش التقليدي الذي يثار حول السؤال التالي :

— أيهما أفضل استعمالا في الحوار .. الفصحى أم العامية ؟ .

ولكنها تتعدى ذلك الى مشكلة التحكم في الحوار ، للتوفيق بين القاء الأضواء الجديدة على الأحداث أو الشخصيات ، وبين رغبة الكاتب في بث آرائه في القصة على لسان شخصياتها عن طريق الحوار . فالحوار الذي لا يقوم على أساس دعم صورة بطل القصة أو تعميق أفكاره أو توضيح الأحداث المحيطة به ، بعيدا عن التفسير المباشر ، والحوار الذي يتعدى المتطلبات الفنية للقصة ، حتى وان أتى بجديد ، ويبعد القارىء عن التفاعل مع القصة حتى النهاية .. كل ذلك يصبح لغوا ، يضر بالقصة أكثر مما ينفعها . وهذا لا يعني أن يتوانى كاتب القصة عن عكس أزمته الفكرية ، المعبرة عن أزمة جيله ،

من خلال انتاجه القصصي . وربما أمكن في هذه الحال اللجوء الى الحوار الداخلي بغية التوصل الى تعرية كاملة تكشف الصراع النفسي والتداعي الذاتي ، وتعطي وضوحا أكثر لملامح الشخصيات.

واذا كانت القيم هي الحصيلة الحضارية لأزهى العصور البشرية على امتداد مراحلها واختلاف مددها ، فان هذا لا يعني أن نبحث في القصة عن تدعيم لتلك القيم في مختلف العصور ، وان كانت بعض الآثار القصصية الكلاسيكية قد أوضحت بشيء من التفصيل بعض القيم السائدة . ولم تعد القصة الهادفة الآن تعني تلك القصة المتخمة بالتعليمات والارشادات والحقائق المسلم بها ، بل هي تعني اصلاح المجتمع من آفاته وأدواته بحنكة ودرائه بعيدا عن الاثارة والانفعال .

وتعتمد القصة على عناصر عديدة ، أهمها : الأسلوب والحدث ، والبيئة — المكان والزمان — والمقدمة ، والعقدة ، والحل .. وان كانت العناصر الثلاثة الأخيرة لم تعد ذات أهمية في نظر بعض كتاب القصة المعاصرين . بل كما ان عناصر القصة جميعها لم تعد ملتحمة بالشكل الذي كانت عليه في السابق بسبب ظهور بعض الآراء الحديثة في القصة .

وتنقسم القصة الى ثلاثة أقسام رئيسية ، هي : الرواية ، والقصة الطويلة ، والقصة القصيرة . فالرواية تجمع بين أحداث وأشخاص وأزمنة متعددة تجمعها وحدة الموضوع ، وهي من أقدم الألوان القصصية . وهناك من يعتبرها امتدادا للملاحم الاغريقية . وقد ظهرت الرواية في العصور الوسطى ، ولكنها لم تتخذ لونا أدبيا معينا لــه خصائصه الا في القرن السابع عشر عندما ظهرت في فرنسا رواية « عشتروت » تأليف « أونوريه دورفييه » عام ١٦١٠م . أما القصة الطويلــة فتنحصر بين الرواية والقصة القصيرة من حيث الطول والأحداث والشخصيات ، وقد برزت في القرن الثامن عشر عند ظهور أحداث ساعدت على انهيار التركيب الطبقي للمجتمع ، ووضعت جميع قطاعاته أمام التأرجح بين الماضي والجديد . أما القصة القصيرة فلم تظهر الا في القرن التاسع عشر ، حينما بدأ كتابتها كل من « نيكولاي جوجول » في روسيا ، و « ادجار ألن بو » في أمريكا دون أن تكون بينهما أية معرفة .

ويعتقد الكثيرون ان القصة القصيرة ستحظى بقصب السبق في المستقبل عندما لا يكون لدى الانسان العصري من الوقت ما يصرفه في قراءة الروايات أو القصص الطويلة ، لاسيما اذا ما نجحت القصة القصيرة في القيام بالمهمة نفسها التي تضطلع بها الرواية والقصة الطويلة .

وعلى الرغم من اختلاف آراء الكتاب في تحديد تعريف القصة القصيرة تعريفا شاملا فان هناك ما يتفقون عليه ، كالتركيز على جانب معين من جوانب الحياة الانسانية ، والتقاط هذا الجانب في الحدود التي تسمح بها قدرات الكاتب وامكاناته الفنية . ويشمل هذا التركيز حصر المواقف والأحداث الجزئية بدقة ، وربطها بالفكرة الرئيسية للقصة . على ألا تكون هناك أي بادرة للتمايز بين تلك المواقف والأحداث ، حتى لا يشعر القارىء بابتعاد الكاتب عن هدفه وحتى يضمن في الوقت نفسه امتداد الفكرة في ذهنه بعمق . والفكرة التي تقوم عليها القصة القصيرة تنبع عادة من واقع الحياة الانسانية ، حتى لا تتحول الى خرافة أو أسطورة ، على أن تصاغ في أسلوب بحيث يتحول الموقف أو الحدث الذي تقوم عليه تلك الفكرة الى عمل فني لا صلة له بعلم النفس أو التاريخ ، وان اعتمد عليه بعض الاعتماد .

ولكاتب الرواية أو القصة الطويلة يلجأ عادة الى سرد أحــداث مختلفــة وشخصيات متباعدة وأفكار متنافرة في روايته ، أو قصته الطويلة ، في حين أن كاتب القصة القصيرة لا يستطيع ذلك ، فوحدة الهدف هنا قد لا تغني عن وحدة الزمان والمكان ، لانها تحتاج لمثل هذه الوحدة لتندفع فكرتها بقوة في سرداب الشعور ومتاهاته الداخلية ، وتترك خطوطا عريضة ترسم بوضوح الموقف أو الحدث الذي تعتمد عليه الفكرة الرئيسية للقصة .

وهناك من يضع شروطا معينة يجب ألا تخرج عليها القصة القصيرة ، ولكن مثل هذه الشروط تعيق الكاتب عن الانطلاق . فالقصة القصيرة وان كانت تحتاج الى عامل الدقة في تتبع الموقف أو الحدث ، فانها أبعد ما تكون صلاحية للخضوع لأي تقنين يأتي من خارج الموقف ، لأن طريقة التحليل تختلف من كاتب الى آخر . فمثل هذه الشروط هي التي تفرض نفسها من صميم العمل الفني .

وقد عرفت القصة القصيرة قديما باعتمادها على الأحداث التي تلتحم أبعاد تأثيرها بشكل عنيف ، بحيث تكون أقرب الى التاريخ منها الى العمل القصصي ، حتى وان كانت مشحونة بالانفعالات النفسية والمضامين الفكرية ، فذلك يفقدها السمات التي يجب أن تتميز بها القصة القصيرة ، فلا يحتاج الكاتب الى ابراز الفكرة في اطار من التفاصيل الزائدة التي يستحيل معها التركيز على هذه الفكرة .

هكذا كانت القصة القصيرة في جملتها ، حتى بدأ الخروج على شكلها التقليدي في أواخر القرن التاسع عشر على يد « جي.دي.موباسان » ، وبمساندة بعض معاصريه ممن اتخذوا الواقعية قاعدة ينطلقون منها لالتقاط نماذج بشرية بأسلوب تجريدي مرن . وكان هذا الخروج فتحا جديدا مهد للتطور الذي حصل فيما بعد ، حتى أصبح قارىء القصة القصيرة يتكيف معها بحيث تدفعه الى الاعتقاد بامكانية حدوثها لأحد معارفه أو لتلك النماذج البشرية التي تصادفه وهو في طريقه الى المكتب أو في الحافلات أو أي مكان آخر ، سواء كانت تلك القصة مطبوعة باللمسات الاقليمية أو مميزة بالمشاعر الانسانية العامة .

وقد عرف الأدب العربي القصة منذ القدم ، ولكنه لم يعرفها بمفهومها الحديث ، وما حمله لنا تاريخ الأدب العربي من قصص كان لا يتعدى بـــاب الحكايات . بيد أن القرآن الكريم حفل بالكثير من قصص الأنبياء والأقوام السالفة ، منها « قصة يوسف » ، التي يقول عنها محمد أحمد خلف الله : « انها قصة انسانية تلعب فيهــا العواطف البشرية الدور الأول ، فتؤثر في سير الأشخاص وتوجههم نحو الخير أو نحو الشر في حياتهم ، ثم هي قصة رحبة واسعة ، تتعدد فيها الشخصيات ، وتتكون الأحداث ، ويجري فيها الحوار هينا لينا رقيقا ، وتتوزع فيها العناصر التوزيع الذي يتطلبه الفن القصصي الرفيع ، فهي موزعة حسب الظروف الطبيعية وحسب ما يحيط بالأبطال من أحداث . ثم هي من حيث البناء القصصي أجود قصة ، ففيها وحدة الموضوع واحكام التصميم ، وفيها جودة الحبكة ، وفيها الانتفاع بالأحداث الاستطرادية » .

ومن الآثار الأدبية التي حوت مــادة قصصية : « كليلة ودمنة » ، و « ألف ليلة وليلة » وحكايات الحب العذري الغزلي بين قيس وليلى ، وجميل وبثينة ، وكثير وعزة ، وسواهم ، وكذلك أخبار الحروب وأيام العرب المشهورة .. ولكن ذلك كله لم يصل بالقصة الى مفهومها الحديث اذ لم يتم ظهورها الا في الأدب العربي الحديث ، وظهرت بادىء ذي بدء عن طريق الترجمة في مصر ولبنان ، فنشرت القصص المترجمة في بعض الصحف والمجلات

التي كانت تصدر في ذلك الوقت ، مثل : « حديقة الأخبار » لخليل خوري — بيروت ١٨٥٨ — وفيها نشرت القصص التي ترجمها سليم بطرس ، واسكندر تويني ، وسواهما ، و« الأهرام » — القاهرة ١٨٧٦ — التي نشرت رواية « الكونت مونغوميري » لاسكندر دوماس الأب ، و « الهلال » — القاهرة ١٨٩٢ — التي نشرت بعض القصص المترجمة ، الى جانب رواياتها التاريخية المعروفة . وكانت قائمة المترجم عنهم في ذلك الحين تضم مجموعة من أدباء الغرب منهم « هنري بوردو » و « اسكندر دوماس الأب » ، و « برناردان سان بيير » ، و « كزافيه مونتيبان » ، و « ميشيل زيفاكو » .

ولم تكن نظرة الأدباء العرب بادىء ذي بدء للقصة جادة بل رأوا فيها من الاستهانة والاستهجان ، فهم لا يعترفون للقصة بكيان أدبي ، ويعتبرون كتابها متطفلين على مائدة الأدب . وقد جاء في مقال الأستاذ الراحل أحمد حسن الزيات عن مجلته « الرسالة » وابتعادها عن نشر القصص .. « وستظل الرسالة تنقل خطاها الوئيدة السديدة المتزنة على ما رسمته لها كرامة الجنس ، وطبيعة البيئة ، وحاجة الثقافة ، لا تتخذ لهو الحديث ولا تصطنع خوادع الحس ولا تتملق شهوات النفس ، وأصدقاؤها — والحمدلله والشكر لهم — لبسوها على هذه الخشونة ، فلا يريدون أن تخطر في وشي ، ولا أن تطري في كلام ، ولا أن تميل الى هوى العافية حتى أبوا كل الاباء أن يتسع فيها مجال للقصص » (١) رحم الله الزيات ، فقد كان متأثرا بالأراء السائدة في ذلك الوقت ، ولكنه تراجع بعد ذلك وكتب القصة بنفسه . ولم تكن الرسالة هي الوحيدة في هذا الرفض للقصة ، اذ سبقتها « المقتطف » التي أحجمت عن نشر القصص ، وأظهرت استنكارها لقراءة القصص ، لما تسببه من قلق للشباب . وعندما تقدم بها العمر ووجدت نفسها مضطرة لمسايرة متطلبات العصر ، كانت تختار القصص التي تتوفر فيها الفوائد العلمية ، وتهمل بعض فصولها ، وتضيف اليها من الحواشي ما يضمن تحقيق الفائدة ، كما يراها المسئولون في « المقتطف » .

وبدأ بروز الخطوط العريضة للرواية العربية منذ ظهور قصة « زينب » لمحمد حسين هيكل . ومع أن هذه الرواية تميل الى الرومانتيكية المسرفة ، الا ان مثل هذه الرومانتيكية لم يقدر لها البقاء طويلا . فظهرت الواقعية النقدية التفاؤلية على يد عبد الرحمن الشرقاوي في قصة « الأرض » . وقد تعددت اتجاهات الرواية العربية متأثرة بالاتجاهات الفكرية في الغرب ، فمع أن الرواية قوبلت في الأدب العربي بلون من عدم الاهتمام ، الا أن ذلك لم يمنعها من التأثر بالاتجاهات الفكرية الغربية منذ البداية ، رغم انها لم تلتزم الحدود الصارمة لواحد منها .. ثم بدأت تبرز بوضوح ، وخاصة في الاطار والمنهج .

ومع ظهور « ابراهيم الكاتب » للمازني ، و « سارة » للعقاد ، ظهرت الرغبة في الميل الى الرمزية المتسمة بطابع التحليل النفسي ، والمترددة بين الرومانتيكية والواقعية ، ولم يقدر لهذه الرمزية حتى الآن أن تلتزم اطارها المحدد ، الا في بعض الأحيان النادرة . وقد نالت الرواية التاريخية اهتمام الكتاب والقراء على السواء ، لأنها من ناحية اهتمت ببعث التاريخ للاعتزاز به ، ومن ناحية أخرى سدت الفراغ الذي تركه خلو الأدب العربي من الرواية ، وقد كانت لجرجي زيدان جهود مشكورة في ذلك ، وان أغفل الكثير من الحقائق التاريخية في رواياته ، أو حاول تحليل بعض الأحداث بطريقة غير سليمة ، ثم تطورت الرواية التاريخية العربية على يد من دخلوا هذا الميدان ، ومنهم : محمد عوض محمد ، وعلي أحمد باكثير ، وغيرهما . وقد شمل هذا التطور الجوانب الفنية والوطنية للرواية العربية . والملاحظ ان الروائي العربي لم يثبت على طريقة واحدة ، فهناك مثلا نجيب محفوظ الذي لم يقتنع انه بلغ بالرواية التاريخية أقصى ما بلغت من الكمال في قصتيه « كفاح طيبة » و « رادوبيس » . فلجأ في قصة « الثلاثية » الى الواقعية الطبيعية ، ثم برز بمعطياته المشحونة بثراء العاطفة النبيلة ليقدمها بلغة شاعرية تسفر عن وجهها الكامل في قصة « الطريق » ، حتى قال عنها أحدهم انها قصيدة شعرية عظيمة .

ويعتبر نجيب محفوظ ظاهرة جديدة في تاريخ الرواية العربية استحقت اهتمام النقاد ، حتى كتب عنه أكثر مما كتب عن أي روائي عربي معاصر . فالدراسات النقدية التي ظهرت في الكتب والصحف عن رواياته ترتكز على اعتباره نقطة تحول رسمت للرواية العربية أكثر من طريق واضح مستقيم ، فكل رواية من رواياته يمكن اعتبارها منهجا جديدا في كتابة الرواية ، وخاصة « الثلاثية » وما ظهر بعدها . والذين قرأوا قصة « ميرامار » يرون بوضوح رغبته في الانعتاق من أي تخطيط منهجي للرواية .

ومع ان تدخل المصادفات لا يسمح بتصوير الشخصيات تصويرا حيا صادقا ، الا أن مثل هذه المصادفات كثيرا ما نجدها عند « يوسف السباعي » ، وخاصة في رواية « رد قلبي » . أما افتعال المواقف الغرامية فقد استهوت حتى أولئك الذين يصح أن نقول عنهم انهم محافظون كما فعل السحار في قصة « جسر الشيطان » ، وتوفيق الحكيم في قصة « الرباط المقدس » ومثل هذا الافتعال متوفر بكثرة عند الانطلاقيين ، مثل احسان عبد القدوس وأمين يوسف غراب ، وغيرهما . واستطاع سهيل ادريس أن يخلص الرواية العربية من التفاصيل الزائدة التي تعوق التطور الدرامي ، وتسترعي اهتمام القارىء بتفاصيل جانبية تبعده عن الخط الأصلي في الرواية . كما استطاع أن يحطم الشكل التقليدي للرواية العربية في قصة « الحي اللاتيني » . أما الدكتور طه حسين فقد عودنا الرصد الطبيعي وخاصة في كتابه « شجرة البؤس » ، وتظهر الموضوعية التي تتحكم فيها الحبكة ويسيطر عليها منطق الزمن في انتاج « شكيب الجابري » .

وهناك غيرهم من الروائيين العرب مثل ، الدكتور « يوسف ادريس » ، والدكتور « عبد السلام العجيلي » ، و « فاضل السباعي » ، و « بديع حقي » ، و « محمد عبد الحليم عبد الله » و « وفيق العلايلي » و « صوفي عبد الله » و « عائشة عبد الرحمن » . أما محمود تيمور فيعتبر رائدا للقصة القصيرة العربية ، وهو يتصف في قصصه ، كما يقول نجيب مسعد « بأنه يرسم الأشخاص ، حركاتهم وسكناتهم ، بؤسهم وآلامهم ، تأوداتهم وسهرهم ، أحلامهم وأمانيهم ، تفاؤلهم وتشاؤمهم . حتى انه تلمس الحياة في سهولة حركاتهم ، فيداعبهم ويسامرهم ، مخففا عنهم دموع الحياة ، ونوائب الدهر ، ومكايد الزمن . ليقينه ان الحياة ما هي الا حلم جميل ، وهي شبيهة الى حد بعيد بفصول السنة المتبدلة ، فمن شتاء دامع حزين الى ربيع فتان مفرح الى خريف ذابل خامل الى صيف ناضج مثمر . وتيمور خصب الانتاج لا يتوانى قلمه عن اظهار خوالج نفسه ، يرأف دوما وأبدا على كل حزين ملتاع في الوجود » .

ان التطور الحثيث الذي تسعى اليه القصة العربية يدل على أن مستقبلها سيكون أفضل من ماضيها بفضل الجهود المتضافرة التي يبذلها كتاب القصة العرب في هذا السبيل ■

(١) الرسالة عدد ١٨٣ الصادر في ٤ يناير ١٩٣٧ .




على هامش الملحمة العربية

العام الجديد والهجرة

للدكتور زكي المحاسني

أهل عام ، ونضو فيه أعواما
ونلبس العمر أحجاما وأقداما
ونحن كالنبت يأتينا الخريف ، به
تصفر أوراقنا في العام أياما
ويقبل البشر في ضحك الربيع لنا
فنطلع الزهر ابداعا وانعاما
لولا التجدد ما ذقنا الدنى بهنا
ففي التجدد نلقى العيش هماما
والعام تلبسنا الآمال جدته
وان لبسنا بما قد فات آلاما
انظر الى النحل واقبس منه شرعته
درس لعمري يزيد الفكر افهاما
مباسم الفجر تغرينا بشاشتها
والشمس رأد الضحى تزداد اسهاما
ما عاش في الشؤم من تهوى مباهجه
فأل الوجود وفي صفو المنى هاما
وفي النجوم برغم الليل ساطعة
قد فتحت في مجال الزهر أكماما

* * *

حييت وارفة دقت بأنملها
بابي وقالت أتاك العام نماما
كبرت يا صاح وازددت السنين فلا
تبغ الشباب ولا تكسبه أوهاما
أجبت : ان شاب رأسي فالفؤاد بدا
في الغفران فعيفي في تلواما
لا عمر للروح تطويه السنون به
وانما طوت الأعمار أجساما
في بسمة الصبح ما ينسي المساء فقل
يا عامنا جئت بالخيرات مقداما
خل السواد ولا تنظر بقاتمه
الى الحياة ، فتلق الدهر بساما
وانشق نسيم الصبا في نفح زاهره
على الربيع وزد نجواك اغراما
يا غاسل الهم بالتسريح ما فتكت
بك الليالي ولكن بت نواما

وملء جفنيك مجد قمت تنشده
عند الصباح وقد نولت اكراما
قال المزمت : للانسان في غده
أن يسأل اليوم ما أبقى وما راما
فقلت : عما مضى لا تبغ محكمة
تضني ولا تشترع للقلب أحكاما
فالله ، وهو بديع في خليقته
ألطافه أبدعت للذنب اعداما
دع الأمور تسر في غير عقدتها
ولا تكن لمسير الحظ لواما
وابسم لعامك في ذكرى عوارفه
في هجرة خلدت في الدهر اسلاما
هذي « المدينة » في منهل بهجتها
انى لساكنها ازداد اعظاما
هي التي وسعت عهدا بسيدنا
(محمد) واحتوت للدين ابراما
الأوس والخزرج اقتادا جحافله
للنصر والفتح ، بالاخلاص قد قاما
ويوم « مكة » في العز المبين زها
يوما كبيرا على الآفاق رحاما
ووحدة العرب في جهد النبي علت
هام الزمان ، أعزت فيه أقواما
ان رحت تطلب في التاريخ مأثرة
فالهجرة ازدحمت رشدا واحكاما
عاشت بتذكارها كر السنين وقد
زادت بما صنعت بالمجد اتماما

* * *

أصفف الزهر في أشعار خاطرتي
بمطلع العام أبني فيه أحلاما
ومعجمي ليس فيه الآه من ألم
فرحت أهتفها للسعد اعلاما
تطيف روحي على أرجاء زاهرة
فيها الرسول وما أشفيت الماما
ومنبت العرب من ميثاء رملتها
يفيض شعري له وحيا والهاما




هل تتمشى المناهج التعليمية الحالية مع روح العصر الحاضر؟

بقلم الدكتور عبد الرحمن عدس

عندما أطلق الاتحاد السوفيتي أول قمر اصطناعي عام ١٩٥٧ ، تعالت صيحات متعددة من مختلف الهيئات في الولايات المتحدة الأمريكية تطالب المعاهد التعليمية هناك باعداد العلماء والباحثين . الذين يتوقع أن يتم على أيديهم رفع أمريكا الى المكانة الأولى في ميادين العلم والتكنولوجيا الحديثة . وعلى أثر ذلك ، ألفت لجان عديدة غايتها دراسة المناهج المعمول بها في المدارس والمعاهد العليا ، وكذلك تقويم أساليب التدريس المتبعة في مختلف المراحل التعليمية لمعرفة مدى فعاليتها في تهيئة وتوفير العدد الكافي من العلماء والباحثين والمخترعين . ونتيجة للدراسات التي قامت بها هذه اللجان . فقد أدخلت تعديلات جذرية على مناهج تدريس العلوم والرياضيات وأساليبها ، خصوصا في المراحل قبل الجامعية . وزيادة على ذلك فقد نبهت أمريكا الى ضرورة التعرف ، في وقت مبكر ، على الموهوبين وذوي الاستعدادات العلمية من أبنائها . وذلك بغية تدريسهم مناهج خاصة بهم ، تتفق مع قابلياتهم واستعداداتهم ، حتى يتسنى الاستفادة من طاقاتهم على الوجه الأكمل ، وبالسرعة الممكنة . وقد سلكت هذا السبيل أيضا بعض البلدان الأخرى ، كبريطانيا ، وفرنسا ، وبلجيكا والدول الاسكندنافية .

الى أي حد تتأثر حياة الفرد «بالتكنولوجيا»

مع أن كثيرا من البلدان لم تندرج بعد في مصاف البلدان المتفوقة تكنولوجيا في العصر الحاضر ، وان لكل مجتمع حاجاته ومتطلباته الخاصة التي قد تختلف عن حاجات غيره من المجتمعات ، الا أن هذا لا يعني أن هذه البلدان بعيدة كل البعد عن تأثير ما يستجد في البلدان المتقدمة من اختراعات واكتشافات . فكل ما تنتجه هذه الأقطار في مضمار التكنولوجيا ينتقل بدوره الى غيرها من البلدان . ثم لا يلبث أن يصبح جزءا من معالم الحياة اليومية . وذلك نظرا لسهولة المواصلات والاتصال بين أطراف هذا العالم . وان نظرة الى ما تحويه المنازل اليوم ترينا العديد من نتاج التكنولوجيا الحديثة ، كالثلاجة ، والغسالة ، ومكيف الهواء ، والمذياع ، والمدفأة ، وغير ذلك . كما أن نظرة أخرى الى الحقول والمزارع ترينا مختلف الآلات والمعدات الزراعية الحديثة ، والأسمدة الكيماوية ، التي لا تنكر فعاليتها وأثرها في تطوير الحياة الزراعية . ونظرة ثالثة الى مرافق النقل ترينا الحديث من السيارات والطائرات والسفن ، التي تعمل بكيفيات مختلفة لخدمة البشر وتسهيل أمور تنقلهم . ولا يفوتنا بالطبع أن نشير الى التطور الكبير الذي طرأ على وسائل الاتصال السلكي واللاسلكي ، والى بدء استخدام الأقمار الاصطناعية في هذا المجال . كما لا يفوتنا أن نذكر دور الآلات الضخمة في شق الطرق وتعبيدها ، خصوصا تلك التي كان شقها صعبا ، أو حتى مستحيلا فيما مضى .

فهل بعد ذلك نستطيع القول بأن الانسان والتكنولوجيا الحديثة بعيدين كل البعد ؟ كلا ، فعلى الرغم من أن كثيرا من البلدان ليست متفوقة تكنولوجيا ، الا أن الحدود ومرافق الحياة المختلفة ليست مغلقة أمام هذا التطور العلمي الحديث الذي نلمسه ونشعر بتأثيره المتزايد علينا يوما بعد يوم . فان كان الأمر كذلك ، حق لنا اذن أن نتساءل عما اذا كانت مدارس اليوم تعمل على وضع المناهج التعليمية الرامية الى اعداد المواطن وتهيئته لمواجهة هذا النوع من الحياة التي تزداد تعقدا يوما بعد يوم ؟ مع العلم أن رسالة المدرسة لا تنحصر في اعداد المواطن العادي فحسب ، بل تتعداه الى اعداد العلماء والفنيين والأخصائيين على اختلاف مستوياتهم واختصاصاتهم .

وقبل أن نخوض في هذا الأمر علينا أن نتعرف الى رسالة المناهج وأهدافها بشكل عام ، بغض النظر عن طبيعة العصر الذي تطبق فيه أو روحه .

أهداف المناهج في المراحل التعليمية المختلفة

من المتعارف عليه بين المخططين للمناهج الدراسية والراسمين لأهدافها ان كل موضوع مدرسي ضمن مناهج المرحلة الابتدائية أو الاعدادية أو الثانوية يجب أن يخدم الأهداف التالية :

* أن يغرس في نفس الفرد بذور الايمان وأن يزوده بزاد الدين الحنيف وتعاليمه الحقة وفضائله المثلى .
* أن يساعد في تطوير شخصية الفرد وصقلها ، بما يكفل له مواجهة حياته المقبلة بشكل فعال ومقبول .
* أن تكون له فائدة عملية في الحياة اليومية .
* أن يكون خطوة تمهيدية للتعليم العالي في ذلك الموضوع فيما بعد .

ولما كانت الجامعة هي مرحلة التخصص ، فان أهدافها يمكن أن تلخص فيما يلي :

— خدمة المجتمع الذي توجد فيه ، وذلك عن طريق تلبية حاجاته .

— العمل على تطوير هذا المجتمع ، وذلك عن طريق ادخال حاجات وخدمات جديدة مرغوب فيها اليه .

وانطلاقا من هذه الأهداف ، وبناء على طبيعة العصر الذي نعيش فيه ، والذي طابعه العلم والتكنولوجيا ، ننتقل الى تقييم المناهج المعمول بها حاليا في كثير من البلاد .

الى أي مدى تعمل المناهج التعليمية على تطوير شخصية الفرد وصقلها ؟

اذا أريد للمناهج المدرسية أن تسهم في صقل شخصية الفرد وتطويرها بشكل يمكنه من أن يحيا حياته المقبلة بشكل فعال ومقبول ، فمن الضروري ، عندئذ ، أن يتم بناؤها وفقا لطبيعة الحياة المقبلة ومتطلباتها . ومع أن طائفة من أشهر المربين يعارضون هذا الاتجاه بدعوى أن التربية يجب أن يكون هدفها حياة التلميذ الحاضرة .

وليس الاعداد للحياة المقبلة ، بدعوى أن الحياة في المستقبل متغيرة ، ولا يمكن التنبوء بطابعها، الا أنه يمكن الرد على هذا الاعتراض بأن الحياة القادمة مهما تغير شكلها ولونها ، فان خط سيرها العام معروف وواضح ، ويمكن تلخيصه بأنه ارتقاء في سلم العلم مع التزاوج بين العلم والتكنولوجيا .

وقد يعترض معترض على درجة الأهمية المعطاة للتكنولوجيا في الحياة اليومية ، بأن كثيرا من البلدان هي في الدرجة الأولى بلاد زراعية ، وعليه فلا حاجة لكل هذا التشديد أو الالحاح على ضرورة تعديل مناهجنا ، وصبغها بالصبغة العلمية أكثر مما هو عليه الحال في الوقت الحاضر . ويمكن الرد على هذا الاعتراض بأن الزراعة أيضا أصبحت في أيامنا هذه بحاجة ماسة الى مبادىء التكنولوجيا وتطبيقاتها . فهل ينكر أحد منا أثر الآلات والمعدات الزراعية في تسهيل عمل المزارع ؟ وان المعرفة الصحيحة بأنواع الأتربة والأحوال الجوية والأسمدة الكيمياوية تساعد في استغلال كل شبر من الأرض مرات ومرات خلال العام الواحد ؟ كما أنها تجعل بالمقدور زراعة ما لم يكن بالمستطاع زراعته ؟ ثم ، وهل ينكر أحد منا أن العلم له الفضل الأكبر في مضاعفة المحصول ، ومساعدة المزارع على حفظه وتصنيعه بشكل يضمن عدم كساده ؟

لذلك ، فمن الواضح مما سبق ، أن البلاد الزراعية أيضا بحاجة ماسة الى العلم والتكنولوجيا لتطوير الزراعة واستغلال الأراضي استغلالا سليما.

هل للمناهج الدراسية صبغة علمية ؟

ان غالبية ما يدرسه الطلاب في المراحل التعليمية قبل الجامعية قلما يحقق الهدف المتعلق بالصبغة العلمية للمقررات الدراسية . فهناك الكثير مما يدرس في هذه المراحل لا يفقه، حتى المعلمون أنفسهم، جدواه في الحياة العملية، وانما يعلمونه لأنه مفروض عليهم . فلو تفحصنا منهاج الرياضيات من هندسة وجبر ، مثلا ، نجد أنه لا يتحلى بالصفة العملية المثلى حتى للذين سيتخصصون في دراسة الرياضيات فيما بعد . وهذا الشيء نفسه يمكن أن يقال عما نتعلمه في ميادين الاجتماعيات واللغات، والعلوم الأخرى. ان ما يتعلمه الطلاب من رياضيات وعلوم ، بالاضافة الى كونه سردا لتاريخ تطور هذه العلوم ، لا يمت بصلة الى ما يحتاجه العالم أو الباحث في هذه الميادين . لذلك فلا غرابة ان نلحظ ظهور اتجاهات متعددة غايتها تطوير هذه المناهج وتقريبها من الحياة العملية ما أمكن . ولا يفوتني أن أذكر للقارىء الكريم في هذا المجال أن عددا من الدول العربية وغير العربية قد قامت موءخرا بالتعاون مع منظمة « اليونسكو » الدولية بتأليف لجان قومية لتطوير مناهج الرياضيات في مدارسها ، بغية جعلها تتفق وروح العصر الذي نعيش فيه .

مدى الصلة بين المناهج الجامعية وقبل الجامعية

في الوقت الذي قد نجد فيه بعض الصلة متوفرة بين المناهج الجامعية وقبل الجامعية بالنسبة للغات والاجتماعات ، نرى أن هذه الصلة ضعيفة بالنسبة للرياضيات والعلوم الأخرى . فان ما يدرس في مقرر الرياضيات في المرحلة الجامعية بعيد الصلة بمعظم ما يدرس في مقرر الرياضيات في المرحلة قبل الجامعية . واذا كانت هذه هي صلة المناهج قبل الجامعية بمناهج الجامعات الأكاديمية التقليدية ، فكيف تكون صلتها بمناهج الجامعات التقدمية في البلاد المتفوقة تكنولوجيا ؟

يتضح مما سبق أن المناهج المعمول بها في معظم المدارس لا تحقق الأهداف الرامية الى صقل شخصية الفرد وتطويرها ، وان صلتها بالمناهج الجامعية لا تقوم على أساس وطيد ، الأمر الذي يتطلب تعديلها بحيث تكون أكثر واقعية ومسايرة لروح العصر الحاضر ، وحتى تحقق الأهداف الموضوعة لها بشكل منطقي ومعقول .

هل تؤدي الجامعات رسالتها على الوجه الأكمل ؟

ان معظم المناهج المعمول بها في كثير من الجامعات الأكاديمية تعمل على تزويد المجتمعات بأشخاص يملأون الوظائف الحكومية ، أو غير الحكومية . وتدل الاحصاءات على أن غالبية من تخرجهم يلتحقون بالدرجة الأولى بمهنة التعليم. لذلك تراهم يتزاحمون على دراسة المواضيع التي توءمن لهم وظائف بعد التخرج ، وذلك بغض النظر عن ميولهم واستعداداتهم . ولا يوجد الا القليل النادر من الطلبة الذين يقبلون على دراسة المواضيع التي قد تكون ضرورية لتطوير المجتمع ، ولكنها في الوقت نفسه لا توءمن لصاحبها وظيفة جاهزة عند التخرج . ان هذا العصر التكنولوجي رغم كونه يقلل من صعوبات الحياة بالنسبة للمواطن العادي ، فانه يخلق له صعوبات اجتماعية ونفسية . ومن هنا تبرز الحاجة الى ضرورة الاهتمام بتوفير الأخصائيين النفسيين والاجتماعيين الذين قل أن تخرجهم الجامعات في الوقت الحاضر.

فبناء على ما سبق ، يمكن القول بأن معظم الجامعات ، مع أنها تعمل على تلبية بعض حاجات مجتمعاتها الا أنها في الوقت نفسه ما زالت تهمل تلبية حاجات أخرى كثيرة تتطلبها هذه المجتمعات. أضف الى ذلك انها قلما تعمل على ادخال مناهج أو خدمات جديدة مبتكرة الى مجتمعاتها من أجل تطويرها وتعديل نوع الحياة الموجودة فيها ، لجعلها أكثر ملاءمة لروح العصر الحاضر .

ضرورة استغلال طاقات الموهوبين

وبالاضافة الى تقصير عدد من المدارس والجامعات في مسايرة روح العصر الحاضر ، فان هناك تقصيرا آخر يتلخص في اهمالها لاستغلال المواهب ، وتفجير طاقات الموهوبين وذوي الاستعدادات العلمية من أبنائها . فما يعمد اليه غالبا هو منح الأوائل والمتفوقين في فحص التوجيهية ، علميين كانوا أو أدبيين ، منحات دراسية مشروطة أو غير مشروطة . والقليل النادر من هوءلاء الموهوبين من تتاح لهم الفرصة للتدرب في ميادين التكنولوجيا الحديثة .

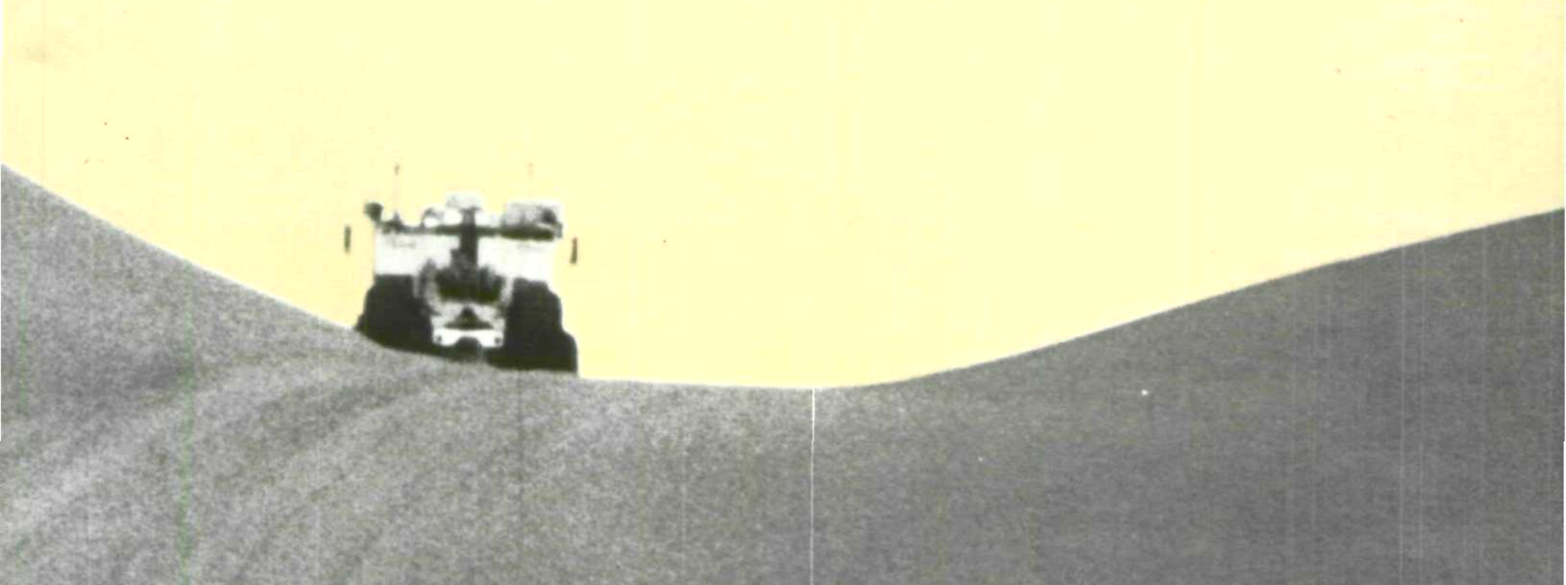
الخلاصة

وخلاصة القول أن الحقيقة الواقعة ، هي أن الكثير من دول العالم واقعة تحت تأثير الغزو التكنولوجي ، الذي تشتد وطأته يوما بعد يوم ، الأمر الذي يحتم اعادة النظر في المناهج التعليمية على المستويين الجامعي وقبل الجامعي ، بحيث يتم تعديلها ، أو حتى اعادة بنائها بشكل يتناسب وروح العصر الذي نعيش فيه . كما يجب ايلاء الموهوبين عناية خاصة ، وان ينوع تدريبهم ، كما تنوع دراساتهم ، خصوصا ذوي الاستعدادات العلمية منهم ، بحيث يجعل العدد الأكبر منهم يتمرس في ميادين العلم ، ودروب التكنولوجيا المختلفة . ولا يخفى أنه للاستفادة القصوى من هذه الفئة المتفوقة، ينبغي أن يعمد الى التعرف اليهم في وقت مبكر من حياتهم الدراسية ، حتى يتسنى صقل استعداداتهم وتطويرها وتوجيهها الوجهة الصحيحة ■

إلى الربع الخالي

عبر الفيافي والقفار

تمخر عباب الربع الخالي، بحر الرمال الشاسع الواسع الواقع في الجزء الجنوبي الشرقي من المملكة العربية السعودية، في أوقات منتظمة قاطرات الرمال وسيارات "الكونورث" الضخمة التي تستخدمها شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) لنقل الوقود والمعدات والامدادات الى مخيمات التنقيب عن الزيت التابعة لها... تلك المخيمات التي ما برحت تعمر وحشة الصحراء الرهيبة بحر نهارها اللافح وسكون ليلها المطبق متنقلة من ركن فيها الى آخر تحيل سكونها ضجيجا، وخلوها امتلاء عبر كثبان تكاد الرياح العاصفة تلفها بأساطير كالأساطير التي تناقلها الرواة عن هذه الصحراء الازلية عبر العصور .



بعد صلاة الفجر ، بكر الجمع يتفقدون سياراتهم .. ثم انطلقوا فيها باتجاه الجنوب . كانت القافلة تضم تسع سيارات من طراز « كونورث – ٩٥٣ » تجر وراءها ١٢ مقطورة محملة بما زنته نحو ٥٠٠ طن من معدات التنقيب ، والديزل ، وزيت وقود الطائرات ليتم نقلها الى مخيم للتنقيب عن الزيت في قلب صحراء الربع الخالي . وكانت تتقدم هذه القافلة سيارة أخرى صغيرة مزودة بجهاز لاسلكي ، لتقودها عبر وعثاء الرمال والسباخ الواسعة الى الوجهة المقصودة ، كما كانت تواكبها ثلاث سيارات أخرى حملت أحدها بمعدات وبقطع غيار ومواد صيانة السيارات ، وخصصت الثانية لاستعمال الاسعاف الميكانيكي الذي يرافق عادة قافلة كهذه تحسبا لأي طارىء ، أما الثالثة فقد جهزت بمعدات وأدوات تسحب بواسطتها السيارات التي تتعرض للتغريز في السباخ أو الرمال .

ويتألف مخيم التنقيب الذي تتجه اليه قافلتنا هذه من مجموعة من المقطورات المصفحة بالألومنيوم ، وهي بمثابة مكاتب عمل وغرف سكن وطعام للرجال الذين يجوبون مهامه الربع الخالي .. يمسحونها ويدرسون جيولوجيتها بحثا عن الذهب الأسود . وقافلتنا هذه واحدة من بضع قوافل تقوم في فترات منتظمة بامداد مخيمات التنقيب النائية بما يلزمها من مواد ومعدات . وقد روعي عند تصميم هذا النوع من سيارات الكونورث ضمان فعاليتها في ظروف تشغيل قاسية ، فهي تدار بمحركات قوة الواحد منها ٤٣٤ حصانا . وتبدو هذه المحركات وكأنها غير قابلة للعطب ، فهي تتحمل حرارة شمس الصحراء اللاهبة ، وغبار عواصفها الرملية دون أن تتعرض بسبب ذلك الى ما يحدّ من فعاليتها . أما وقودها فهو الديزل ، وتبلغ سعة خزان الديزل في كل سيارة منها حوالي ٥٣٠ جالونا ، وبالاضافة الى ذلك فانها مزودة بفرامل هوائية وبروافع وأذرع تجعل من عملية تغيير اطاراتها عملية سهلة . وهي تجتاز متاهات رمال الصحراء وكثبانها وسباخها على ستة اطارات يبلغ ثمن الواحد منها نحو ٢٥٠٠ ريال . أما مقصورة السائق في كل

سيارتا السحب والمعدات اللتان ترافقان القافلة تحسبا للطوارىء .

احدى قوافل السيارات التي تجوب صحراء الربع الخالي لنقل المواد الى مخيمات التنقيب .

منها فمكيفة الهواء واسعة . ومع أن سيارات الكونورث غير مزودة بأجهزة راديو أو اتصال لاسلكي فان قيمة الواحدة منها تربـو على ٣٠٠٠٠٠ ريال سعودي .

كانت القافلة تسير بسرعة لا تزيد على ٤٥ كيلومترا في الساعة .. أما سائقوها فمجموعة من رجال كانوا ، وان استبدلوا أثوابهم العربية التقليدية ببذلات عمل ، لا يزالون يتحلون بكل ما يتحلى به العربي ابن الصحراء ، من شمائل ومميزات : كالصبر ، والخشونة ، والبساطة والفطنة . كان الواحد منهم يعتني بسيارته كما لو كانت طفلته المدللة ، وكانوا يحرصون دائما على أن يظلوا على مسافة قريبة مـن بعضهم البعض .. كانوا يتصرفون تمامـا كأفراد أسرة واحدة يجوبون « صحراءهم » ، كسالف آبـائهم وأجدادهم .

استمرت القافلة في سيرها على الطريق المعبد بـين الظهـران وبقيق نحو ساعتين ، وفي جنوب بقيق حيث تنفرد الصحراء وتتمطى ولا تكاد تنحسر الا عن معالم متناثرة من آثار المدنية متمثلة في هيكل سيارة مهجور علاه الصدأ ، أو عمود لهب منبعث من أحد معامل فرز الغاز من الزيت النائية ، أو جزء يعترض الطريق من سكة حديد الدمام — الرياض ، استدارت القافلة يسارا مخلفة وراءها رتابة خط سيرها على الطريق المعبد ، ليتنفس السائقون الصعداء ويطلقون العنان لسياراتهم عبر الصحراء المفتوحة الموطن الطبيعي لا للابل وحسب — على ما يبدو — بل وللسيارات قاهرة الرمال . ولعل في مقدور أي سائق أن يسوق سيارة ضخمة على طريق معبد واضح المعالم ، ولكن سياقة « الكونورث » بما يتصل بها من مقطورات بين كثبان الرمال وبطون الأودية والسباخ ، بدون خريطة أو بوصلة أو علامات مميزة ، أمر يبعث على الدهشة ويدعو الى الاعجاب .

سارت القافلة ساعات وساعات كان السائقون خلالها يوجهون أبصارهم الى الصحراء التي كانت تبدو وكأنها منبسط لا نهائي من الرمال المتعرجة والكثبان والسباخ .. كانوا لا يرون شيئا غير الرمال ، ولا يسمعون شيئا سوى هدير المحركات وصوت أغصان شجيرات « الزهر » و « الغضا » تنقصف تحت عجلات سياراتهم الضخمة . ولا يكاد المرء يميز في الصحراء ، حيث تطلق الريح لأصابعها الفنّانة العنان فتشكل من أكداس الرمال أشكالا متموجة تارة ومرتفعة تارة أخرى ، أي مكان عن غيره .. الا ابن الصحراء الذي خبرها وعجم عودها .. فهو ، وان اعتراه الجهد والنصب أحيانا ، انما يدرج في أرض يعرفها ، ويحبها ، ولا يضل دربه فيها .

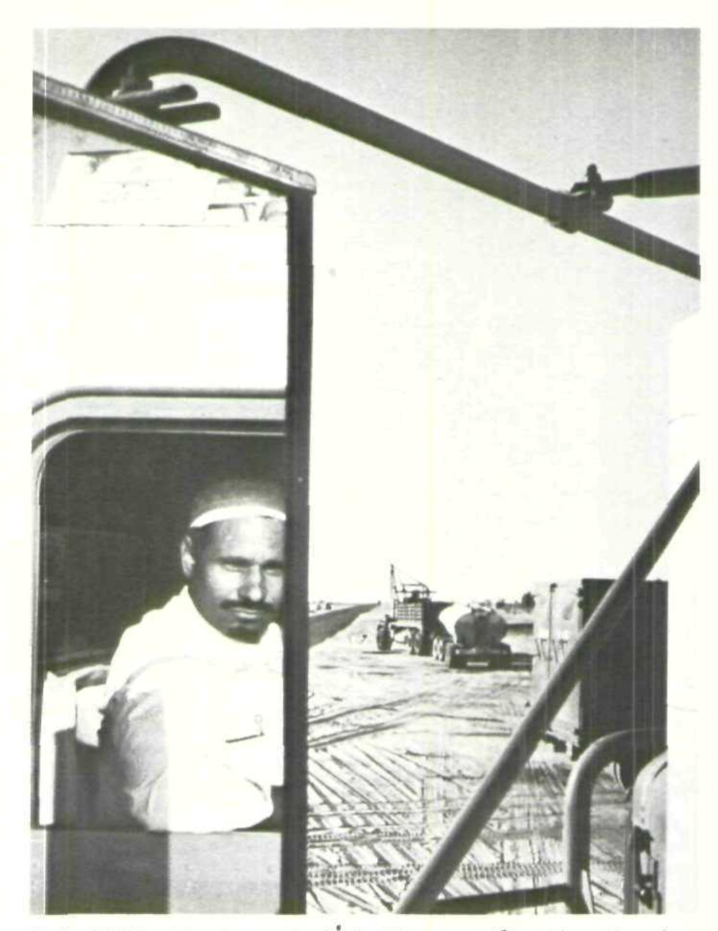
بيد أن هنالك متاعب ومشكلات يواجههـا المسافر عبر الصحراء حتى ولو كان من أمهر السائقين .. اذ ينبغي على السائق أحيانا أن يبذل مجهودا كبيرا ليستدير بسيارة الكونورث وما تقطره وراءها حول كثيب مرتفع من الرمل الناعم الأملس كأنه ذراع الأخطبوط ، أو ليتحاشى ارتفاعا شبه عمودي أو انحدارا سحيقا .. وفي بعض الحالات تضطر القافلة الى التوقف عن السير ريثما يتم سحب سيارة غرزت في بحر الرمال ، أو استبدال اطار بآخر ، أو تخفيض كمية الهواء في اطارات السيارات جميعها أو زيادتهـا ، أو غير ذلك .

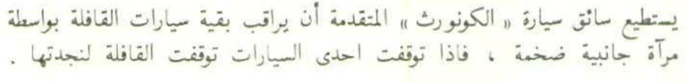
ومع ذلك فان فراسة البدوي — ومعظم سائقي سيارات القافلة يمتون الى البادية بصلة — ومعرفته بالصحراء ومقدرته على قراءة آثار أخفاف الابل في الرمال أمور تبعث على الدهشة . وتعتبر اجادة هذه الأمور بالنسبة للكثيرين من بني « مرة » ، وهي قبيلة يقطن بعض أفرادها في الربع الخالي ، مسألة حياة أو موت . ويروى أن أفراد هذه القبيلة يستطيعون بعد تفحص آثار أخفاف الابل في مكان ما أن يقرروا نوعها وحجمها وسنها وعلاتها وفي أي اتجاه سارت ، ووقت مرورها في ذلك المكان .. الخ ، كما أنهم يستطيعون في الأيام العاصفة أن يشقوا طريقهم الى مضاربهم بمراقبة تكدس الرمال حول جذوع الغضا أو الزهر اذ يعرفون من ذلك اتجاه الريح ، التي تهب في الربع الخالي غالبا من الشمال ، فيعرفون بالتالي الوجهة التي يقصدونها .

° ° °



احد مخيمات التنقيب في الربع الخالي ، الى حيث تتجه قوافل السيارات الضخمة محملة بمعدات الحفر وغيرها .





يستطيع سائق سيارة « الكونورث » المتقدمة أن يراقب بقية سيارات القافلة بواسطة مرآة جانبية ضخمة ، فاذا توقفت احدى السيارات توقفت القافلة لنجدتها .



راحة قصيرة في منطقة من الكثبان الرملية الوعرة في انتظار بقية سيارات القافلة .

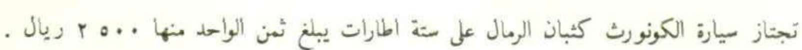
عند الظهيرة كانت القافلة قد اجتازت منطقة الكثبان والطعوس الرملية الى منبسط يبدو كسهل ساحلي ، وان كان رمليا مقفرا لازرع فيه ولا ضرع . كانت الرياح عاصفة مستمرة الهبوب لا تني تعفر حبيبات الرمال وتكدسها ، وكانت حرارة أشعة الشمس تتركز وتنعكس من كل حبة رمل في ذلك المنبسط .. ومع ذلك فان قلة من السائقين شغلوا مكيفات مقصوراتهم لأن الكثيرين منهم انما نشأوا في مثل هذه الظروف المناخية وتعودوا عليها .

ظلت القافلة تسير في مثل هذا الظرف الى ما قبيل غروب الشمس .. وفي لحظة ما ، كانت السيارات تتجمع في بقعة فسيحة على كتف أحد الطعوس الكبيرة ، بشكل رائع جدا .. لقد بدت تلك البقعة وكأنها منتجع تؤمه سيارات القافلة من كل اتجاه عن سابق معرفة ، أو لعل السائقين يعتبرونه بمثابة استراحة خلوية لهم عبر طريقهم الوعر الطويل .

دلفت الشمس الى خدرها مؤتزرة بوشاح من عسجد ، وكفت المحركات عن الهدير واضطجع السائقون على الرمال الدافئة ، وعادت الصحراء الى طبعها الأزلي .. بحيرة صمت وهدوء . وما هي الا لحظات حتى أوقدت النار ، وأعدت القهوة العربية وأديرت على الرجال يحتسونها تحت رذاذ خفيف من ضوء تشعه أسطع نجوم يمكن للانسان أن يراها . ثم أعد العشاء التقليدي من لحم وفير وأرز ، وانصرف الجمع يتأهبون لنوم هادىء .. ما أروع ليل الصحراء وما أفتنه : تخمد حرارة شمس النهار اللافحة ، وتتحول الريح السموم الى نسمات لطيفة منعشة ، وتنعكس أشعة القمر والنجوم على كثبان الرمال سبائك من ذهب وفضة ، ويخلد الرجال الى الراحة والهدوء بعد عناء يوم عمل شاق .

استيقظ الجمع في الصباح الباكر ، فأدوا صلاة الصبح وتناولوا القهوة العربية وبعض الخبز ، وانطلق هدير محركات سياراتهم من جديد ايذانا ببدء يوم آخر حافل وشاق . وعندما توقفت السيارات عند الظهيرة ليتناول السائقون طعام الغداء دار بينهم حديث طويل تطرقوا خلاله الى الأفاعي التي كانوا يواجهونها في بعض رحلاتهم ، والتي يزيد طول الواحدة منها على أربعة أقدام ، وحمدوا الله لأنهم لم يواجهوا شيئا من ذلك خلال هذه الرحلة . وبعد الغداء ، استأنفت القافلة سيرها عبر امتداد رملي وعر اضطر السائقين الى تخفيض ضغط الهواء في اطارات سياراتهم الى ٢٥ رطلا على البوصة المربعة . وقبيل غروب الشمس كانت القافلة قد اجتازت هذا الامتداد الوعر الى منطقة منبسطة ، فغذّت السيارات في سيرها مخلفة وراءها سحبا من الغبار .. ثم حان وقت العشاء فتوقفت القافلة وتجمع الركب ، وأوقدت النار ، واذا ببدوي متدثر بملابس كثيرة يقبل من قلب الصحراء ، فيتوقف أمام الجمع ويلقي التحية فيحيي بمثلها ، وتقدم له القهوة ، ثم يستأذن ليتابع سيره ، على الأقدام ، الى المدينة ، عبر كل هذا المدى !

احدى سيارات الكونورث أثناء سحبها بعد أن غرزت في الرمل .



تجتاز سيارة الكونورث كثبان الرمال على ستة اطارات يبلغ ثمن الواحد منها ٢٥٠٠ ريال .



واصلت القافلة سيرها في صباح اليوم التالي في اتجاه الجنوب ثم في اتجاه الشرق ، كانت الصحراء خلال ثلاثة أيام متشابهة تكرر المشاهد ذاتها ، لولا عدد من السباخ الرملية التي راحت تتخلل طريق القافلة بين الحين والحين .. لقد اجتازت القافلة ما يزيد على ٥٠ سبخة .. وفي مساء اليوم السادس من بدء الرحلة كانت سيارات القافلة تصعد كثيبا مرتفعا من الرمل ، لتنحدر مع سفحه الآخر الى منبسط فسيح ، حيث يقبع مخيم التنقيب المنشود .

وهناك ، فقد كان لوصول القافلة وقع يختلف عن «روتين» الحياة اليومية في المخيم كل الاختلاف .. لقد جلبت القافلة الى ذلك المكان مزيدا من الحركة والضوضاء ، والعمل لتكسر وحشة الصحراء وسكونها .. أما السائقون فقد خلدوا الى الراحة ، لأنهم كانوا على يقين من أنهم سيعودون الى معاركة السباخ والكثبان من جديد في رحلة العودة التي سيبدأونها في صبيحة اليوم التالي ■

عندما يلتقي العرب

بقلم الاستاذ عبدالله حشيمة

اجتاحت جيوش العباسيين الربوع الشامية . واستولت عليها ، وقضت على دولة الأمويين فيها . فتشرد من تشرد من رجال هذه الدولة .

وفي عداد المشردين كان ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك ، وكان هذا حسن الأدب ، بعيدا عن كل ما يجعل منه مرمى لسهام النقد ممن تعودوا التفتيش عن العيوب لتصويب سهام نقدهم الى ذويها .

قال لجاريته أميمة . وكانت أقرب جواريه وأحبهم اليه . فيما رياح الأزمة تهدد المصائر بما لا سبيل معه الى التفكير بحسن المآل :

— قضي الأمر ، يا أمية .. جيوش بني العباس تحتل أرضنا ، ولن تكون دمشق بنجوة منها . فما علينا أن نعمل ؟

وأميمة كانت ذات جمال ورجاحة عقل ورأي . قالت :

— لو ان غزاتنا عرب غير مسلمين لقلت : نذود عن حياضنا بالسيف أو نموت ، ولكن .. أليس من المؤسف أن نتقاتل ونحن المسلمون العرب ؟

قال متغلبا على ما في نفسه من ألم :

— عربا كنا أم غير عرب ، فنحن بشر .. وليس من المهم أن تنتقل الخلافة من أموي الى عبّاسي ، المهم أن يكمل العباسي بناء المجد الذي رفعه الأموي ، بهذا يكون النصر للعروبة والاسلام الذي تؤدي الخلافة رسالته .

وأميمة تعرف سيدها . وما انطوت نفسه عليه من نبل .. ومع ذلك فقد أكبرت قوله ، في حين تعصف بأسرته وبه أدهى العواصف ، الى حد أنه بات يجهل كيف يكون مصيره . قالت :

— ما أجمل قولك وأسماه . يا سيدي .. لقد لقيت عليّ في الأدب وصفاء العقيدة دروسا لا تنسى . وأبلغ هذه الدروس الدرس الذي تلقّيته الآن . فما أنت بعد فاعل ؟

أطرق ابراهيم لحظة . ثم أجاب :

— غير ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك أنا بعد .. انني مواطن عادي ، له ما لسواه من رعايا الخليفة ، وعليه ما على أي واحد منهم . هذا ان لم تدر عليّ في سبيلي الى الأمن والاستقرار اللذين سأمضي في طلبهما الدوائر .

— أتغادر دمشق ؟

قالتها وبجزع آخذ منها .. وكان لا بد من جواب لسؤالها . على ما في الجواب من بواعث للألم . قال :

— لا بد من مغادرتها .

— وأهل بيتك ؟

— أهل بيتي .. لا ضير عليهم ، وهم غير من تحسب السياسة لهم حسابا .

— وأنـا ؟

وأجهشت بالبكاء .. فرأى أن يكون رفيقا بها . والدموع التي تذرفها من قلبها ، وقد تعود أن لا يفسح لها في المجال لذرف أمثالها . قال :

— من كانت مثلك يا أميمة لا يخشى عليها .. ما تضيعينه هنا تلقينه هناك . وقد لا يدهشني انتقالك من دار الأمير الأموي . بعد ان لم تبق لهذا الأمير دار . الى بلاط الخليفة العباسي .

وزادها قوله ألما . قالت :

— أنا لا أطمع بهذا .

قال والصدق كله في قوله :

— اطمعي .. بلاط الخليفة دنيا يعوزها الأدب كما تعوزها البطولات . وقد يؤدي حسن أدبك

فيها دورا لا يعود خيره عليك بقدر ما يعود على الناس ، ولا خير في أدب يحلي صاحبه ولا تكون منه لسواه من عباد الله حلية .

* * *

غادر ابراهيم وغلام له يدعى جابرا دمشق متنكرين ، وراحا يضربان في القفر ، وهما لا يدريان الى أين .

وابراهيم يتجلّد على أساه . وجابر يحاول أن يتجلد مثله ، ولا يجد سبيلا الى ذلك .. فالأمر غير الذي يمكنه التقليل من خطورته ، وقد أصبح سيّده واحدا من أسرة هوى صرحها ، فمن نجا منهم – كسيّده – لا يجد كوخا يأوي اليه ، ولا صديقا يجرؤ على البوح له بسره .

ورآه ابراهيم مستغرقا في لجة تفكيره ، فقال له متصنعا الهدوء :

– بم تفكر يا جابر .. في الماضي ، أم في المستقبل ؟

قال جابر متمالكا :

– في كليهما ، يا سيدي .

– في كليهما ..!

قالها ابراهيم وعلى شفتيه ابتسامة حاول أن يخفي وراءها آلامه ، فاذا هي تنضح بهذه الآلام بدلا من أن تقوى على اخفائها . واذ كان لا بد من كلمة أخرى من وحي العقل لا العاطفة ، تابع :

– لنتناسى ما مضى ، وليكن اهتمامنا لما سيأتي .. لا بد لسيرنا في هذا القفر من نهاية ، فأين ترانا نجد الأمن ؟

قال الغلام بشيء من الدهشة :

– أليس الى الحيرة قصدنا ؟

– لنا في الحيرة أنصار نستطيع التخفي عندهم زمنا ، مع ما في ذلك من خطر علينا وعليهم ، ولكن .. ما يكون بعد من أمرنا ؟

– نعود الى الهرب والبحث عن الأمن .

قالها الغلام بلهجة أضحكت ابراهيم الضحكة المريرة الباقية وحدها على شفتيه . قال :

– وهكذا دواليك : هرب ، وبحث عن الأمن والاستقرار والنهاية ؟

– النهاية ..!

وكان على الغلام أن يفكر ، وأن يشارك سيّده في تفكيره ..انهما الآن أمام مشكلة تتطلب حلا ، ومتابعة الهرب والبحث لا يمكن أن تكون حلا لها ، فأين يمكن أن يكون هذا الحل ؟

وخيل للغلام أنه وجده . قال :

– ما قول سيدي في الرحيل ؟

– في الرحيل ؟ !

ليس في القول من جديد ، فالطريق التي يسيران عليها طريق الرحيل هي ، ولكن :

– الى أين يا جابر ؟

– الى الأندلس .

الأندلس .. حبذا الرحيل اليها ، انها جنة العروبة ، وفيها تطيب الاقامة ، ولكن طريقها بعيدة ، وبقطع هذه الطريق قطع كل صلة بالوطن الأم .

وفي الوطن الأم أهل البيت ، فما عسى أن تكون حالهم ، حين تنقطع الصلات بهم ؟

وجابر لا يجهل هذا .. ومع ذلك فقد كان على ابراهيم أن يذكّره به . قال :

– يهون علي يا جابر التنازل عن كل شيء ، الا عما لأهل بيتي علي من حق .. ان التخلي عن أهل البيت جناية ، وبقائي بالقرب ممن مصيرهم مرتبط بمصيري واجب ، فاذا كتب لي أن ألقى وجه ربي ، لقيته وأنا مطمئن الى كوني أديت ما علي نحوهم .. ويفعل سبحانه وتعالى بعد ما يشاء .

* * *

ما أصعب السير وأتعبه في القفر حين لا يكون للسائر هدف معين ، ولا الى الطمأنينة الى حسن المآل سبيل .

وكان ابراهيم يسير ، وسؤال واحد يدور في رأسه ، ويتردد حيرة على شفتيه :

– الى أين ؟

وحيثما تطلع تراءى له الخطر ، ولم يجد بارقة أمل بالاستقرار ... وما زال حتى أضناه السير ، وعاد غير قادر على متابعته . قال :

– وبعد ، يا جابر ... أما ترى أننا أصبحنا بحاجة الى الراحة ؟

قال الغلام موافقا :

– أجل ، يا سيدي .. وأرى في البعد منزلا منفردا ، وعلى بابه رجل هو ولا شك صاحبه ، ولا أعلم اذا كان من الحكمة اللجوء اليه .

– أترى في ذلك خطرا علينا ؛

– من يدري .. فالرجل غير من يوحي مظهره بالثقة ، وما يكون مصيرنا لو وقعنا منه على عباسي متطرف ؟

والغلام مبدئيا على حق .

ولكن ابراهيم تعب .. ومن أتعبه الهرب بعد أن بات طريد اليأس ، عليه أن يجد حلا للمشكلة التي يعانيها ، بدلا من أن يزيدها تعقيدا . قال :

– لا يخذل العربي كائنا من كان ضيفه .. ومع ذلك فسننزل على الرجل الذي ترى متنكرين ، أنا الآن عبد الله بن أبي حجرة ، وأنت شريكي جبير بن خليفة ، من تجار الرملة في فلسطين .

* * *

كان المنزل الذي قصد ابراهيم وغلامه اليه لرجل يدعى حمدان .. وبكثير من اللطف وحسن الحفاوة استقبل هذا القادمين عليه :

– يا مرحبا ، يا مرحبا .

وعرفه ابراهيم بنفسه وبغلامه ، لا على حقيقة من هما ، بل كما رأى من الحكمة أن يكون التعريف .. بالشريكين عبد الله وجبير .

– ليس من عادة العربي أن يسأل ضيفه عن اسمه وبلده .. وأما وقد شئتما التعارف ، فأنا حمدان بن سهيل الكوفي ، وقصة والدي سليمان بن عبد الملك معروفة ، فهلا وصل اليكما نبأها ؟

وكان على ابراهيم « المتنكر » أن يبالغ في تنكّره ، والمبالغة في التنكر تفرض التجاهل والتمويه . قال :

– اننا بعيدان عن السياسة والاشتغال بها ، فنحن من أرباب الأعمال التجارية ، وقلما تصل أنباء البلاط وأهله الينا .

وضحك حمدان ضحكة أيقظت الشك في نفس ابراهيم ، والخوف في نفس جابر ، وأتبعها بقوله :

– مع أن من يراكما لا يشك في أنكما من أهل السياسة ، وقصة والدي وسليمان بن عبد الملك لا يجهلها بعد انسان .

وراح يوجز لهما القصة :

– كان والدي أحد كبار قادة الجيش ، ولأسباب لا تمت الى المصلحة العامة بصلة ، غضب سليمان بن عبد الملك عليه ، وزجه في السجن حيث قضى نحبه من ثقل وطأة الهم عليه .

وابراهيم يعرف هذا . قال :

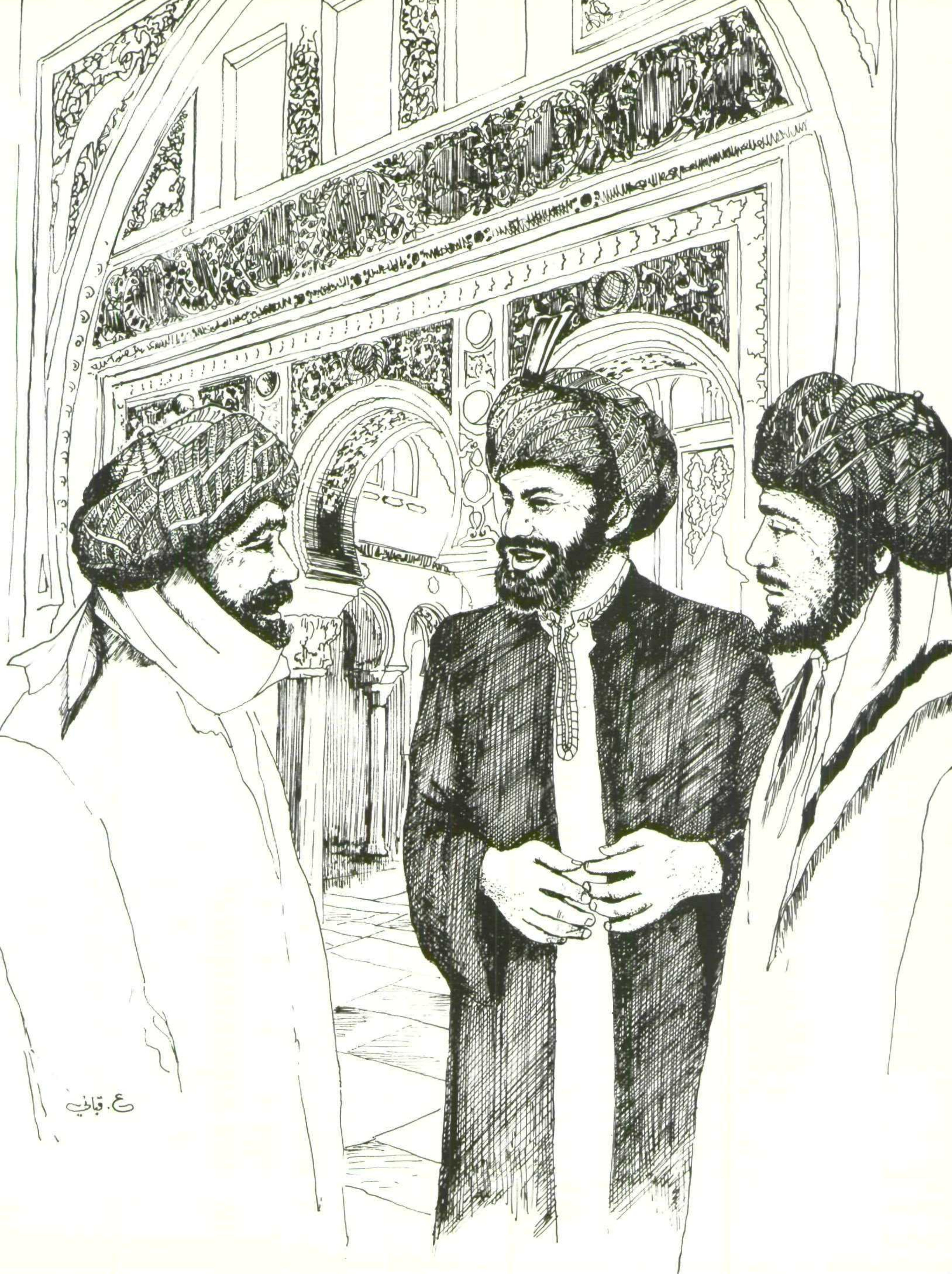
– ومن أجل الظلم الذي أنزله سليمان بن عبد الملك بأبيك نقمت على الأمويين .

– الى الحدّ الذي لا يعترض الخلق العربي فيه سبيل النقمة .

قالها حمدان بلهجة نبيلة .

ولم يخف على ابراهيم ما وراء قوله ولهجته من كرم الخلق ، وهذا ما جعله يطمئن بعض الاطمئنان الى مصيره عنده . قال :

– لو ان القدر ساق اليك واحدا من بني سليمان


ع. قباني

بن عبد الملك ، وهم في مثل ما هم فيه من الشهرة ، فما عساك أن تفعل به ؟

وارتفعت قامة حمدان ، والنبل كل النبل في ارتفاعها ، قال :

— آمن أنت وغلامك يا ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك .

ولم يفهم جابر من كل ما سمع الا أن حياته وحياة سيده في خطر ، والخوف المستولي عليه أصم أذنيه عن سماع كلمة الأمان ، فلم يتمالك من الهتاف قائلا لحمدان :

— مخطىء أنت ، يا سيد ..

فقاطعه حمدان ضاحكا ، قال :

— كلا يا جابر .. فلست ممّن ينتهكون حرمة الجار ، ان لجاري حرمة دونها مالي وولدي .

وأثر في ابراهيم قوله .

وفي القول احراج لصاحبه ، اذ أخذ على نفسه حماية طريد غير عادي ، ومثل هذه الحماية تفرض تضحية جسيمة فيما لو بلغ الخليفة العباسي خبرها .. وكان على الأمير الأموي أن لا يكون أقل من مضيفه العباسي كرما . قال :

— أمنية لي اليك ، يا ابن سهيل .

قال حمدان مهتما :

— وأمنيتك ؟

— لا أسألك كيف عرفتني .. لطالب الثأر أعين ترى حتى ما وراء الحجب ...

ولكنني وقد فقدت كل أمل لي بحياة كريمة ، أناشدك الله أن تضع حدا لحياتي ، فأنت بهذا تثأر لأبيك راضيا ، وترتاح نفسي اليه ؟

قال حمدان :

— أتحمل أنت حقدا لبني العباس ؟

— لا والله يا حمدان .

قالها ابراهيم صادقا ، وتابع :

— ما أردت نفسي غير عربي يعمل برضى الله.. وكائنا من كان الجالس على عرش الخلافة ، فالطاعة له واجبة ما أطاع الله ورسوله ووفر لرعيته العدل والأمن والاستقرار .

وبمثل لهجته الصادقة ، قال حمدان :

— اذن أمضي معك الى الخليفة ، ولن تكون في البلاط العباسي أقل شأنا منك في البلاط الأموي ، وأنت من جمع الأدب والعلم الى حسن السيرة والايمان بالله .

* * *

كان ما توقع ابراهيم لجاريته اميمة ، فاذا هي تنقل من دار الأمير الأموي الى بلاط الخليفة العباسي ، وتحتل هنا المكانة التي كانت تحتلها هناك ، فتثير ما تثير من حسد الحاسدين ، ومن اعجاب المعجبين من أهل البلاط بها .

ومن المعجبين كان الخليفة . وبقدر ما كان اعجابه بأدبها ، كان اعجابه بوفائها .. فهي ما ذكرت مرة أيام دمشق ، والعطف الذي كان يغمرها سيدها هناك به ، الا أجهشت بالبكاء حنينا الى تلك الأيام .

وغير مرة أحب سماع حديثها عن سيدها ذاك ، عن حسن أدبه وكرم خلقه .

وقال لها أخيرا :

— أعيدي علي ، يا أميمة قول ابراهيم بن سليمان

وكان يريد أن يسمع التتمة ، ففي هذه التتمة ما ترتاح نفسه اليه ، والجارية النبيهة لا تجهل ذلك . قالت مكمّلة :

— من أموي الى عباسي ، المهم أن يكمل العباسي بناء المجد الذي رفعه الأموي ، بهذا يكون النصر للعروبة والاسلام الذي تؤدي الخلافة رسالته .

— أي ، والله .

قالها الخليفة طربا ، وتابع :

— وليت ابراهيم هنا ليساعد العباسي على اكمال البناء .. أين يمكننا أن نجده يا أميمة ؟

قالت وفي حلقها غصة :

— ما أدري يا أمير المؤمنين .. غادر دمشق وغلاما له ، الى حيث لا يعلم أحد .

— ومن ترك في دمشق ؟

— أهل بيته .

— وأنت ، ما حملك الى هنا راضية .. أما آثرت التواري معه على الظهور في بلاط الخليفة ؟

— ما حملني الى هنا ..

وكأنها كانت تنتظر هذا السؤال ، وقد أعدت له الجواب الذي كانت تريد اسماعه الخليفة ، فتابعت بحرارة :

— وفائي له ، يا أمير المؤمنين .

— وفاؤك له ؟ !

— ونزولي على ارادته .

— على ارادته ؟ !

— هو من أراد بقائي في دمشق ، وقال لي : اذا ما أتيح لك الوصول الى دار الخلافة فكل ما أدنتك من محبتي وعطفي وأدبي للخليفة وحده تؤدينه .

وأثر القول في الخليفة . قال :

— ما أنت بعد المدينة لابراهيم ، يا أميمة .. الخليفة مدين له أيضا . سنأتي بأهل بيته الى هنا ، وسنبحث عنه في كل أرض ، ليأتي ويحتلّ بدوره المكانة التي هو أهل لها عندنا .

* * *

ما كان ابراهيم يتوقع أن يتلقاه الخليفة بالحفاوة التي تلقاه بها ، حين أقبل برفقة حمدان بن سهيل عليه ، وهو لا يعلم أي شيء عن مصير جاريته أميمة ، وعما دار بينها وبين الخليفة من حديث عنه .

ولم يصدق الخليفة عينه حين رأى الرجل الذي كان يريد البحث عنه ماثلا بين يديه ، فقال لحمدان :

— أتدري ما فعلت ، يا ابن سهيل ؟

قال حمدان :

— أدري انني أتيت أمير المؤمنين بابراهيم ابن سليمان بن عبد الملك .

قال الخليفة مرتاحا :

— وحسنا فعلت ... ان لابراهيم دينا مستحقا علينا ، وكنت بانتظاره لأؤدي له هذا الدين .

وأدهش ابراهيم قوله . هو الخليفة العباسي مدين لأمير من أمراء البيت الأموي بشيء ؟

وأشكل عليه الأمر . قال :

— ليس على الخليفة دين لغير الله يؤديه .. ونعمة من نعمه تعالى أن يجتمع الناس حوله ، الخصوم قبل الأنصار منهم ، فهذا يعني أن الخلافة لله ، وأن الله قبل الجميع ، وفوق الجميع .

وطابت نفس الخليفة . قال :

— ووفاء لدين الله نحتفظ بك ، يا ابراهيم .. فأنت منذ الآن من أهل رأينا ومشورتنا ، ولك ولأهل بيتك عندنا اكرام ذوي الفضل ، وعدا ذلك ما لا نشك في أن نفسك ترتاح ارتياحها الى لقاء الأهل اليه .

قال ابراهيم دهشا :

— وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟

أجاب الخليفة ضاحكا :

— ما أخالك نسيت أميمة .

— أميمة ..

هتف ابراهيم هتاف من بوغت بما سمع ، وتابع الخليفة قائلا :

— انها عندنا .. ويبدو أنك أدنتها الكثير ، من علمك وكرم خلقك وحسن أدبك ، ونريد أن لا يحال بينها وبين الوفاء لك ، وقد لمسنا أنها تؤثر العيش في ظلك على العيش في قصور الخلفاء ■

ماذا أفاد العلم والصناعة من غزو الفضاء ؟

بقلم المهندس وجيه السمان



تشهد سير المستكشفين والمخترعين انهم يبدون للناس في البداية مجانين أو مهووسين ، يقومون بمحاولات يراها الناس سخيفة أو تافهة ، أو ضربا من الجنون والتهور ، أو مضيعة للوقت والمال . ويعطينا تاريخ التقنية أمثلة عديدة للأحكام الخاطئة التي قضى بها العلماء على أعمال غيرهم ممن لم يبلغوا بعد درجتهم من العلم ، أو لم تتكلل أعمالهم بالنجاح بعد . فنرى مشاهير العلماء يحكمون على المخترعات والمكتشفات التي أصبحت اليوم جزءا من أساس حياتنا العصرية ، بأنها تدجيل أو باطل أو هراء . لأنها لم تتفق في بدايتها مع طرق تفكيرهم أو لأن فيها أمورا يعتقدون انها مستحيلة التحقيق .

فالكهرباء والهاتف وغاز الاستصباح في فجر ولادتها كانت تعتبر عبثا لا فائدة منه . وحكم أعضاء المجمع العلمي الفرنسي على « فونوغراف » اديسن بأنه سخف ، كما حكم بعض العلماء — بواسطة استنتاج رياضي رفيع — بأن المولد الكهربائي لا يمكن أن يعمل .

واشتغل « فاراداي » و « أمبير » في غرف حقيرة ، فاكتشف أولهما « التحريض الكهربائي » كما وضع الثاني قوانين القوى التي تولدها التيارات الكهربائية . ولم يلقيا في البداية سوى السخرية والاشفاق . ونصح الأساتذة تلميذهم « لوبول » بأن يهتم بأمور أكثر جدية من محاولة انتاج وقود غازي من الفحم الحجري . وسأل العارفون المخترع « بل » عن الفائدة التي يجنيها الانسان من التخاطب عن بعد .

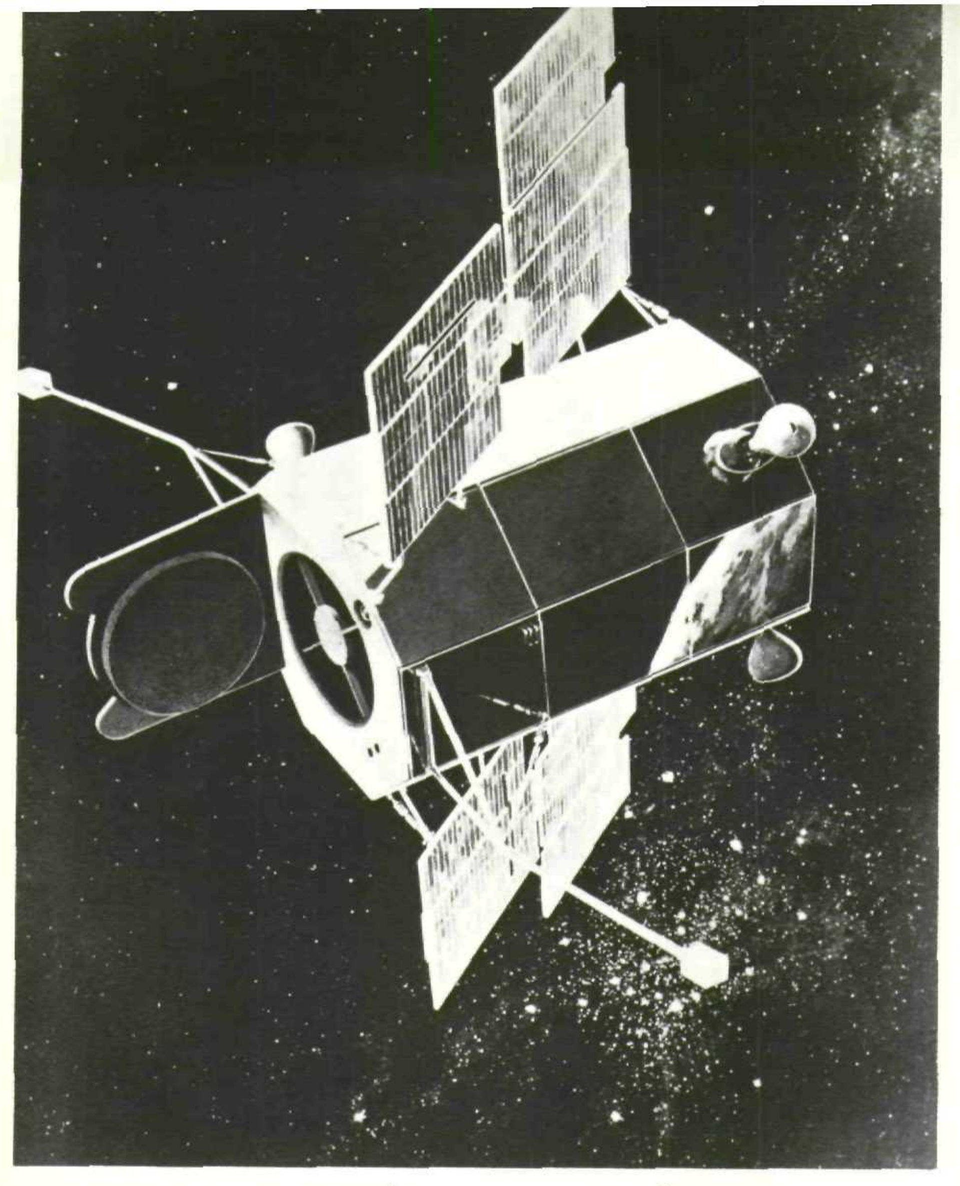
ولم ينج استكشاف الفضاء من مثل هذا الاستنكار والاستخفاف اللذين تلاقيهما مساعي

الرواد دوما في البداية . فقد وقف أكثر علماء الولايات المتحدة في وجه مشروع « أبولو » عندما طلبت مؤسسة الفضاء الأمريكية الموافقة على الموازنة المطلوبة له ، وكانت تقدر في عام ١٩٦٣ بعشرين مليار دولار . أما الآن وقد تحقق هذا المشروع ، ووطئت قدم الانسان أرض القمر ، فقد بينت الأرقام المصححة أن كلفته بلغت ٢٤ مليارا من الدولارات .

وقد ثارت عند تقديم مشروع « أبولو » عاصفة هوجاء في الولايات المتحدة ، اشترك فيها المواطنون الأمريكيون من كل جانب ، لا سيما وانه يكلف كل مواطن مبلغ ١٢٥ دولارا يدفعها من ضرائبه .. ووقف غالبية العلماء الى جانب هؤلاء المعارضين ، وكانوا أكثر الناس طعنا في المشروع . وجرى اجتماع للعلماء الذين انحازوا ضد برنامج الفضاء ، وضم ٢٥ من حملة جائزة نوبل ، فنوقش البرنامج ، وكان التصويت ضده بالاجماع على أساس أنه باهظ الكلفة ، غير علمي بالمعنى الصحيح . ولا يهيىء كثيرا لتقدم المعرفة والفكر البشري .

والآن ، وقد مضت ستة أعوام على هذه الضجة وعلى تلك المناقشات ، وأنفقت هذه الموازنة الضخمة ، وتكلل المشروع بالنجاح ، فقد صارت الانسانية في موقف تستطيع أن تحكم فيه على نتائجه ، وعلى ما جلبه من فوائد ، أو ما ضاع فيه من أموال وجهود .

لقد أثبتت النتائج ، ولا شك ، أن العلم والصناعة قد استفادا من مشروع « أبولو » فوائد كثيرة ، ظهرت بعض آثارها الآن ، وسيتتابع ظهور كثير منها في الأعوام القادمة ، ويترتب عليها توسع كبير في نطاق المعرفة والبحث ، وتغيير في وسائل الانتاج الصناعي والتكنولوجي تشمل مختلف النواحي .



رسم يمثل أحد الأقمار الاصطناعية التي أسهمت في دراسة شؤون الفضاء والتي مهدت الطريق أمام الانسان للوصول الى سطح القمر .

معرفة الأرض

كانت هذه المعرفة بالأمس عسيرة بالسبل التي كان يتبعها الانسان وهو على سطح الأرض لاصق بها .. كان مثله في ذلك مثل العين التي تحاول أن ترى نفسها ، فلا تستطيع . فلما انطلق الانسان الى الفضاء تمكن أن ينظر الى الأرض « من عل » ، وهو يدور حولها على المدارات . وهو الآن يختار بعد هذه المدارات عن الأرض وفقا لطبيعة الدراسة التي يقوم بها .

ان رؤية الأرض شرط لازم لامكان استثمارها استثمارا شاملا ، فلما صار في وسع الانسان أن يراها من الخارج ، صار بامكانه أن يواجه مشاكلها بطرق جديدة غير التي كان يواجهها بها من قبل . وكدليل على ذلك تقدمت وزارة الزراعة الأمريكية بميزانيتها لعام ١٩٦٨ ، واذا فيها مبلغ (٣٤٠) ألف دولار تخصص كحصة أولى لاستخدام الاقمار الاصطناعية في شؤون الزراعة .. ذلك لأن مراقبة الأرض من حالق بالقمر الاصطناعي تمكن خلال بضع دقائق من متابعة اغارات الحشرات ، واندلاع حرائق الغابات ، وانتشار أمراض النبات ، والاطلاع على أحوال المحاصيل .

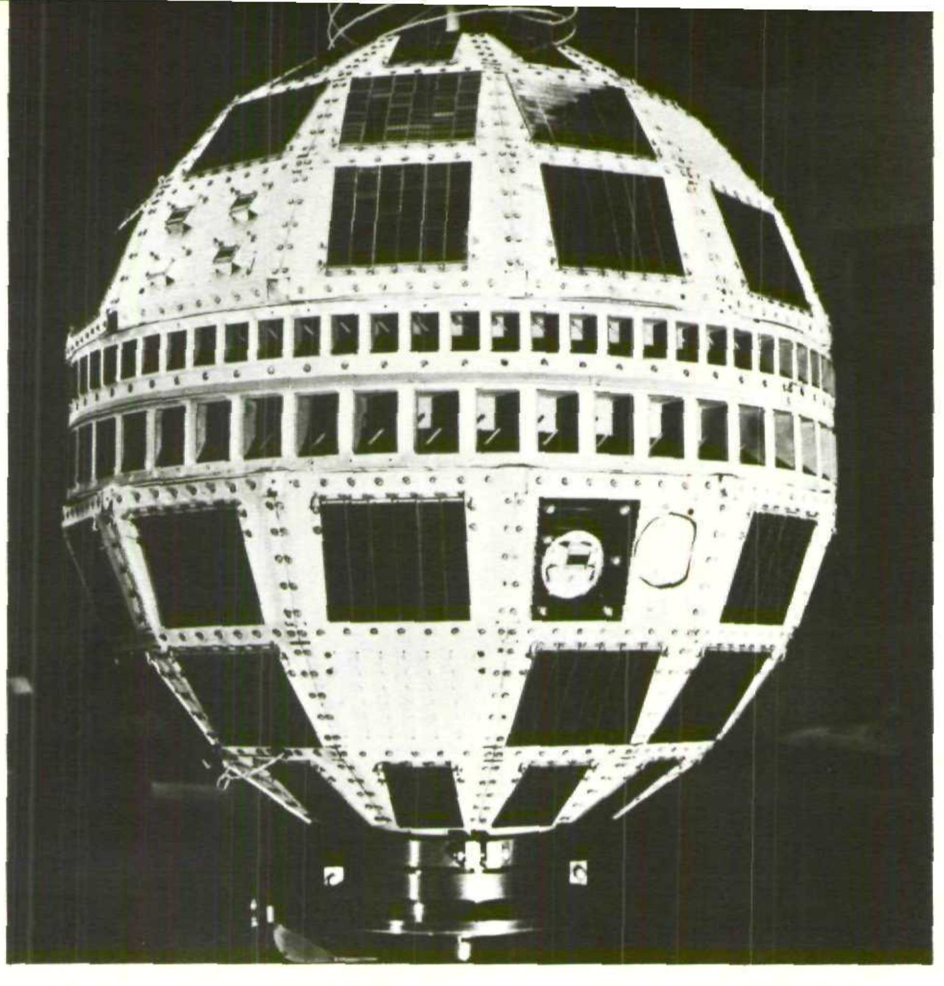
لذلك يفكر أصحاب الاختصاص في الاستفادة من برنامج « أبولو » للقيام بمسح كامل لموارد الثروة الأرضية ، وخاصة الاحتياطات المائية ، والكشف عن جميع مظاهر القارات ، وذلك ضمن نطاق تضامن دولي .

ويستخدم الجيولوجيون الصور التي تلتقطها مركبات الفضاء في الحصول على المزيد من المعلومات المتعلقة بتركيب باطن الأرض ، من دراسة تغير الألوان على سطحها ، وما تكشفه من البيانات الجيولوجية التي لا ترى الا على الصور المأخوذة من مدارات الأقمار . وقد عرضت على اخصائيي التنقيب عن المعادن صور أخذت من الفضاء لمناطق يعرفونها ، فأدهشهم ما رأوا فيها من مناظر اجمالية لمكامن لم تكتشف بعد .

وبالاضافة الى ذلك مكنت الصور التي أخذها رجال الفضاء للأرض من صنع أطالس حية حديثة ، يتوقع أن تصبح وثائق يعتمد عليها في تخطيط المدن . وأصبح علم الجغرافيا لا يعتمد على خرائط تحمل ألوانا اصطلاحية ، بل على صور تكشف مظاهر مختلف بقاع الأرض . وقد أفادت هذه

الصور – فيما أفادت – في معرفة المنطقة المتجمدة الجنوبية .

وكذلك أصبح أخذ القياسات الأرضية بدقة كبيرة ممكنا بفضل الأقمار الاصطناعية . وان النتائج التي حصل عليها خلال الأعوام العشرة الأولى التي مضت من عصر الفضاء أكدت للعلماء أن شكل الكرة الأرضية يختلف عما كان يظن ، وأن قسمها الجنوبي أكثر تحدبا من الشمالي ، وان في سطح البحار نتوءا حقيقيا ، اذ كشفت الأقمار عن وجود جبال حقيقية من الماء في بعض الأمكنة يتجاوز ارتفاعها خمسين مترا . وأمكن أيضا قياس بعض المسافات بين القارات بخطأ لا يزيد على ١٠ أمتار . وتظهر أهمية هذه النتيجة اذا ذكرنا أنه في فجر عصر الفضاء كانت المواقع الحقيقية لبعض الجزر ، كجزيرتي « غوام » و « تاهيتي » معروفة بخطأ يبلغ عدة كيلومترات .



نموذج لاحدى المحطات الطائرة (تلستار) المستخدمة في نقل المكالمات الهاتفية وبرامج التلفزة والأحداث عبر الأطلسي .. وهي تحتوي على ٣٦٠٠ خلية شمسية لتوليد الطاقة الكهربائية من الشمس .. ويبدو في الجزء الأعلى من التلستار الهوائي الخاص بتلقي التعليمات المرسلة من المحطات الأرضية .

عهد جديد للأرصاد الجوية

عندما يرتفع الانسان فوق الأرض أكثر من ٥٠٠ كيلومترا يستطيع مشاهدة الجو وهو في كامل حركته ونشاطه ، وتحري القوانين التي تسير الانواء وأحوال الجو . وقد مكنت صور التقطت للجو من الأقمار الاصطناعية من اعداد خرائط لأحوال الجو ، ومن التنبؤ بالظواهر التي تولد أخطر الكوارث ، كالزوابع والأعاصير . فقد أمكن خلال سبعة أعوام بين عامي (١٩٦٠ – ١٩٦٧) اذاعة أكثر من ألف انذار بقرب هبوب العواصف في انحاء كثيرة من العالم اعتمادا على الصور التي التقطتها أقمار الرصد الجوي .

وقد أطلق الأمريكيون في مدة ٨٥ شهرا ١٧ قمرا اصطناعيا خاصا بالرصد الجوي زودتهم بحوالي مليوني صورة استطاع بفضلها المشتغلون بالأرصاد أن يحصلوا على حركات تشكل السحب وتكونها .

وبعد اتفاق التعاون الذي وقعه الاتحاد السوفيتي وأمريكا في آذار ١٩٦٣ في مجال الرصد الجوي ، أطلق السوفييت عددا من الأقمار الاصطناعية التقطت صورا مفيدة أبانت عن أمكنة تشكل السحب . وكانت مدارات بعض هذه الأقمار تميل ٨١ درجة جنوبا من خط الاستواء ، مما مكنها من تصوير اعصار هبّ بقرب المنطقة المتجمدة الجنوبية بدقة كبيرة .

وباختصار تمكنت هذه الأقمار من دراسة الأرض واعطاء معلومات جامعة لم يكن بالمستطاع نيلها من قبل . فقد كان العلماء ، فيما مضى ، يجرون استنتاجاتهم على أساس أن نطاق الأرض هو نطاق موحد يمكن دراسته بصرف النظر عن الحوادث الخارجة عنه . غير أن ملاحة الفضاء بينت أنه لفهم ما يجري على سطح الأرض ينبغي ألا يكتفى بالنظر الى الجو الأدنى فقط . وأن هناك تيارا يهب ما بين ارتفاعي ٢٠ و ٣٠ كيلومترا تبلغ سرعته ١٠٠ متر في الثانية ، وهو يغير وجهته مرتين في العام . فمن سبتمبر الى مارس يتجه في جهة دوران الأرض ، ويضطرب جريانه في أبريل ، وتقل سرعته في مايو ، ثم يهب بعدها من الشرق الى الغرب .

لقد أصبح اطلاق البالونات الى أعالي الجو ومراقبة تحركاتها في الفضاء بحيث يمكن دراسة هذه الحركات دراسة منتظمة أمرا مألوفا . كما أصبح الآن معلوما أن هذه الحركات تعبر عن ظواهر معقدة تحدث في الأجواء القريبة من الأرض . فقد كشفت الأقمار الاصطناعية أنه يوجد على ارتفاع ٢٥٠ كيلومترا ريح تجري باستمرار في جهة دوران الأرض ، وتبلغ سرعتها ١٢٠ مترا في الثانية ، وتبين كذلك أن أعالي الجو ليست منطقة ساكنة ، بل مجال للرياح والزوابع العنيفة تتبع النشاط الشمسي . كما تجري في طبقة الجو الواقعة ما بين ١٢٠ و ٧٠٠ كيلومتر تغيرات فيزيائية وكيميائية مهمة جدا يتبع أكثرها النشاط الشمسي ، فيصادف على أثر اندفاع شمسي أن ترتفع درجة الحرارة فيها الى نحو ٥٠٠ أو ٦٠٠ درجة . وكشفت الدراسة المنتظمة لهذه الطبقة عن وجود علاقات وثيقة ما بين سطح الأرض والأجواء العليا . فغاز « الهيليوم » يتولد في القشرة الأرضية من انحلال وتقسم ذرات « الثوريوم » و « الأورانيوم » ، ثم ترتفع ذراته الى أعالي الجو ، قبل أن تتحرر من جاذبية الأرض . وقد ترجح وجود طبقة من « الهيليوم » في أعالي الجو نظريا في عام ١٩٦١ ، الا أن القمر الاصطناعي « المستكشف – ١٧ » قام في أول أبريل ١٩٦٣ بأول قياس فعلي لكميات الهيليوم المنتشرة حول الأرض .

وكشفت الأقمار الاصطناعية أيضا عن هروب غاز « الهيدروجين » من الأرض ، فجزيئات بخار الماء المتصاعدة من البحار في الجو عندما تبلغ ارتفاعا يقارب ٨٠ كيلومترا ، يطرأ عليها « تأين » بفعل الاشعاعات فوق البنفسجية الواردة من الشمس ، بحيث تزداد نسبة « الأكسجين » المنطلق منها في الجو . أما « الهيدروجين » فانه يميل الى مغادرة نطاق الأرض بسرعة . ويقدر رجال الفضاء أن طبقة « الهيدروجين » التي تحيط دوما بالأرض لا يزيد وزنها على عشرات الأطنان . فهنالك اذن حركة لهذا العنصر نحو الأعلى ذات اتجاه واحد . ويرى « شلوفسكي » أن هذه الحركة ربما سببت فـي العصور الجيولوجية القديمة انخفاض مستوى المحيطات عشرات من الأمتار ، بحيث قامت بدور أساسي في تطور الأرض ، وهو دور لم يخطر في الماضي ببال أحد .

الفضاء والمواصلات البعيدة

من المعلوم أن الأمواج الراديوية القصيرة يمكن أن تحمل كميات كبيرة جدا من الأنباء والمعلومات ، لا تستطيع الأمواج المتوسطة أو الطويلة مجاراتها فيها . وكلما قصرت هذه الأمواج كانت أقدر على حمل الأنباء ، وهي تنتشر في خطوط مستقيمة ، مثل أمواج الضوء .

وقد فكر العلماء منذ أكثر من عشرين عاما – أي قبل عصر الفضاء – باستخدام الأقمار الاصطناعية في نشر هذه الأمواج . فاذا وزعت في الفضاء ثلاثة من هذه الأقمار على ارتفاع ٣٦٠٠٠ كيلومتر ، بحيث تسير مع الأرض بنفس سرعتها ، وتبدو وكأنها ثابتة في السماء ، تكفي لتغطية الكرة الأرضية في نقل الأمواج .

وبعد نجاح تجربة أقمار المواصلات مثل « سينكوم » و « أرلي بيرد » وغيرهما ، أصبح في مقدرة الباحثين الأمريكيين اطلاق أقمار مماثلة فوق منطقة معينة من الأرض . ويكفي اجراء تصحيح بسيط لموقعها مرة أو مرتين في العام ، وسيصبح هذا التصحيح في المستقبل على دقة كبيرة ، ولا يحتاج الا الى مقادير زهيدة من الوقود لا تكاد تذكر .

بيد أن هنالك مشكلة تتعلق بهذه الأقمار عن مدى احتمال مقاومتها لعوامل الفضاء . فقد كان الخبراء يخشون عليها عوامل التآكل الكوني ، ويخشون أن تهبط طاقة المولدات الكهرضوئية فيها بما يزيد معدله السنوي على ٢٠٪ ، ثم تبين لهم أن هذا الهبوط السنوي لا يزيد في الواقع على ٥٪ ، مما بشر بامكان الاستفادة منها مدة أطول مما كان متوقعا لها .

وينوي الأمريكيون في عام ١٩٧٥ أن يطلقوا – بواسطة صاروخ « ساترن » – قمرا اصطناعيا للمواصلات ، يبلغ وزنه ٢٠ طنا ، ويستنبط طاقته من مولد ذري يحمله في داخله .

وهكذا فان كل أنواع المخابرات البعيدة المدى ستنقل قريبا بواسطة الأقمار الاصطناعية المطلقة في الفضاء . وقد سبق في عام ١٩٦٣ أن نقل تخطيط كهربائي للقلب بواسطة قمر من نوع « التلستار » من مدينة « ملووكي » في الولايات المتحدة الى « باريس » . وتكررت هذه العملية في الاتجاه المعاكس في يوليو من عام ١٩٦٧ أثناء انعقاد مؤتمر الألكترونات الطبية في مدينة « تور » بفرنسا ، فأرسل بواسطة قمر « ارلي برد » تخطيط كهربائي للقلب الى مدينة « واشنطن » ، وهنالك جرى لـه تحليل بواسطة عقل ألكتروني خاص صمم لهذا التفسير . وقد كان لهذه التجربة صدى كبير ، لأنها فتحت باب الاستشارة على مقياس الكرة الأرضية ، بحيث يتمكن عدد من العلماء في أقطار مختلفة أن يشاركوا في ذات الوقت في حل مسألة معينة .

لقد أصبح بالامكان نقل ملايين المخابرات بواسطة الأقمار في وقت قصير . ونذكر بهذه المناسبة تجربة أخرى أجريت عام ١٩٦٧ ، قوامها نقل المعلومات عن طريق الفضاء بين تسعة مراكز حسابية في الولايات المتحدة تستخدم العقول الألكترونية ، أمكن خلالها نقل ٥١٠٠ حرف أبجدي في كل ثانية ، وذلك بواسطة القمر الاصطناعي « ارلي بيرد » .

ملاحة الفضاء والصناعة

كان لتقدم ملاحة الفضاء انعكاس كبير جدا على الصناعة . ويرى البعض أنها – ولا شك – محرك التطور التكنولوجي المقبل .. فبعد أن مرت الصناعة بعصور البخار والكهرباء والألكترونيات ، تمر الآن بعصر الفضاء .

ذلك لأن الصواريخ تتطلب أن تكون النسبة بين الحمولة المفيدة التي تنقلها وبين وزنها الكلي متقاربة . وتطلب هذا تخفيف وزن الصاروخ الى أقصى حد . ولم يكن ذلك ممكنا الا بعد استخدام خلائط معدنية جديدة غاية في الخفة ، واتباع طريقة جديدة في التجميع . وستصبح هذه الخلائط المعدنية جاهزة عما قريب تستفيد منها الصناعات المختلفة .

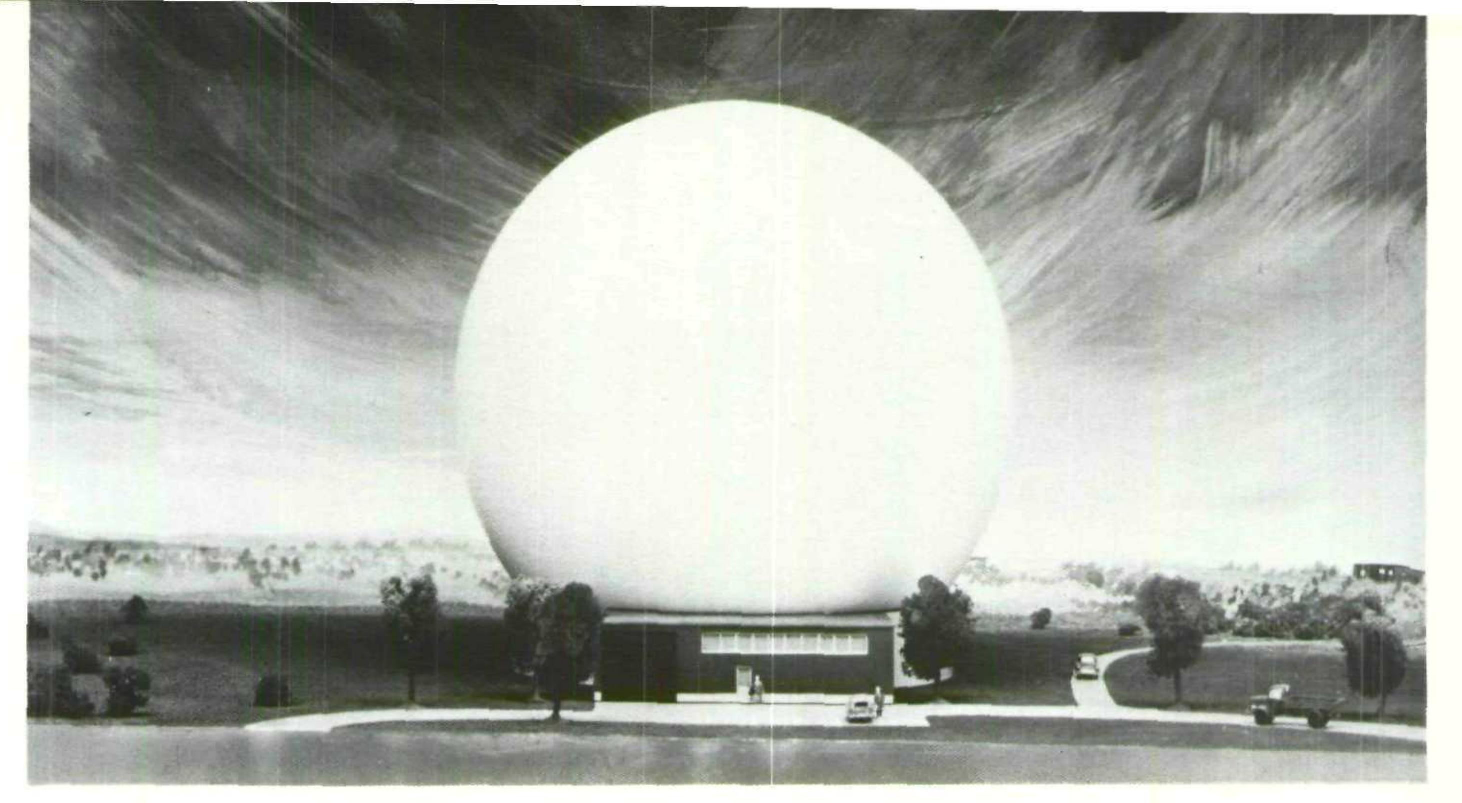
وهكذا فان عددا من المعادن ، التي كانت بالأمس شبه مجهولة ، قد احتلت اليوم مكانا مرموقا في صناعة أجهزة الفضاء . مثال ذلك معدن « البريليوم » الذي يجمع ما بين قلة الكثافة (١,٨٤) وبين جودة الناقلية للحرارة والمقاومة الميكانيكية العالية . ولهذا فان المركبة القمرية « L.M » قد صنعت منه .

ومن المعادن المستعملة أيضا في مركبات الفضاء معدن « التيتانيوم » وتبلغ كثافته (٤,٥) ، ومع ذلك فان مقاومته تفوق مقاومة الفولاذ . ولم ترج صناعة هذا المعدن الفلزي على نطاق واسع الا في عصر الفضاء ، وبدأت باستخدامه الطائرات التجارية التي تفوق سرعتها سرعة الصوت .

ومن المتوقع أن يقتفي آثار تقنيات الفضاء عهد جديد لصناعات المعادن ، وذلك بظهور خلائط معدنية لها خواص وميزات مدهشة خارقة تقبل الصناعة على الاستفادة منها بتوسع . ومن الصفات التي ينبغي توفرها في الخلائط المعدنية أن تكون شديدة المقاومة للحرارة . وقد أدت البحوث الى انتاج خليط من معدني « تنتال » و « هافنيوم » يتحمل درجة حرارة مقدارها ٢٢٠٠ مئوية ، ويقاوم عوامل التآكل مقاومة كبيرة . وولدت صناعة الفضاء أيضا مواد شديدة التحمل للاجهاد ، فهي تحتمل ضغط نحو ٢٠٠ كيلوغرام على المليمتر المربع ، وينتظر أن تنتج في المستقبل القريب أنواع تحتمل ضعف ذلك الضغط . وتصنع الآن ابر تبلغ مقاومتها نحو ثلاثين مرة ضعف مقاومة الأبر المصنوعة من الحديد العادي .

هذا ، ولم يستعمل قبل عصر الفضاء من بين العناصر – وعدد المعروف منها الآن ١٠٤ عناصر – سوى قرابة ثلاثين عنصرا . أما اليوم فقد تغير الوضع ، لأن صانعي أجهزة الفضاء قد وسعوا مجالهم الكيميائي ليستعملوا كل عنصر في الغرض اللائق به . ففي نطاق دراسات وتخطيط الرحلات بين سيارات المجموعة الشمسية وجد العلماء استعمالا معينا لمعدن « الليتيوم » ، حيث يصنعون منه ومن معدن « النيوبيوم » خلائط لصنع أنابيب معينة تستخدم في الصواريخ .

وكذلك أصبح « الهيدروجين » ، وهو الوقود الكيميائي السامي ، مادة أولية صناعية هامة . ودفعت ملاحة الفضاء البحوث المتعلقة بمولدات الكهرباء التي تعمل بالوقود الكيميائي نحو الأمام . ويبدو أن غلبة هذه المولدات على الآلات الحرارية



احدى محطات الاتصال الأرضية التجريبية التي تم انشاؤها في كندا كجزء من برنامج أبحاث الفضاء .

أمر أكيد ، فهي تمكن من توليد الكهرباء مباشرة بالتفاعلات الكيميائية ، ويبلغ مردودها نحو تسعين بالمائة .

ملاحة الفضاء والالكترونات الطبية

ان الأجهزة التي تم صنعها بقصد تسجيل العوامل البيولوجية وأثرها على ملاحي الفضاء ، ونقل ذلك الى الأرض ، أمكن بتطبيقها في المستشفيات توفير المراقبة المنتظمة المرنة والدقيقة للمرضى ، كما أمكن الوقوف على تطور أحوالهم باستمرار أثناء العمليات التي تجرى لهم .

هذا وقد تم صنع أجهزة على نسق الأجهزة التي أعدت لملاحي الفضاء من ناحية الكفاءة العملية كان من نتيجتها أن أثرت على صناعة الأعضاء الاصطناعية ، كما أثرت على صناعة الأدوات الجراحية بتصغير أجهزتها الى ادنى حد ورفع فعاليتها ، فهنالك الآن أجهزة صغيرة يمكن أن تزود بها سيارة عادية ، وتعطي في أقل من دقيقتين قراءة ضغط دم المصاب ، ودرجة حرارته ، وسرعة تنفسه ، وتخطيط قلبه . فتسمح هذه المعلومات للطبيب بالحكم فيما اذا كان نقل المصاب ممكنا ، أو يجب القيام بمعالجته في مكان اصابته .

الوصول الى القمر منشط هائل للصناعة

ان العدد العظيم من العقود التي تبرم باستمرار مع كبريات الشركات الصناعية ، والمتعلقة بأمور علمية وتكنولوجية طليعية ، قد أثار مجموعة من البحوث الأساسية والتطبيقية تذهل العقل بتنوعها ووفرتها . على أن ما يجرى بحثه في المختبرات لا تظهر آثاره التطبيقية في الأسواق الا بعد عدة سنوات .

وان مما يشغل بال رجال الاقتصاد والصناعة الأوروبيين هو ما سيبقى لهم من استقلال اقتصادي ، عندما يصل اليهم ، بعد أمد يتراوح بين خمس وعشر سنوات ، المد التقني الفضائي الناشيء في الولايات المتحدة . ذلك ان رحلة الانسان الى القمر التي كلفت ٢٤ مليارا من الدولارات ، أنفقت خلال ٨ سنوات ، تعتبر أعظم منشط وأقوى محرك للتقدم العلمي والاقتصادي والصناعي عرفته البشرية حتى الآن . فقد اقتضى هذا المشروع العلمي الجبار مساهمة جميع القطاعات الاقتصادية في انجازه وتحقيقه ، وأجبرها على التقدم الحثيث وعلى تجديد ما تصنعه دوما ، وحمل جميع المهن والصناعات والعلوم على التعاون والتآزر : قدم لها الوسائل المادية اللازمة ، وأبى عليها الفشل ، ونشر في البلاد بأسرها شعور الحماسة ، الذي يدفع الانسان الى العمل وبذل أقصى امكاناته وجميع مواهبه .

هذا ، ولم تفرغ أمريكا بعد من استثمار الفوائد الناجمة من رحلة الانسان الى القمر ، بل ان آثار هذه المغامرة لا تزال في أول ازدهارها ، وقد أخذت تجد لها تطبيقات لا حصر لها في جميع فروع الصناعة ، وغيرها من القطاعات الاقتصادية . فالاكتشافات التي حصلت عليها من الكثرة بحيث أن المشكلة الكبرى القائمة هي معرفة السبيل الى التعريف بها لكي تجد تطبيقاتها الصناعية . لذلك فان الولايات المتحدة تسعى الى تحقيق توازن ديناميكي بين سيل المكتشفات وبين استثمارها الفعلي . وقد نشر فرع «تطبيق التكنولوجيا» ، الذي أحدثته «مؤسسة الفضاء» في عام ١٩٦٨ ، قرابة ٣ آلاف اختراع قابل للتطبيق في نطاقات أخرى غير الفضاء .

ولكي ندرك سبب هذا الغنى في النتائج ، ينبغي أن نذكر أن جميع الآلات والتجهيزات التي تتكوّن منها مركبات الفضاء ينبغي أن تكون على جانب من الدقة والضبط والانتظام لم يسبق له مثيل في الصناعة . فلا يقبل منها شيء الا اذا كان كامل الصفات .. ويعني ذلك الرجوع في أغلب الأحيان الى نقطة البداية في كل جهاز واعادة بنائه . وهذا هو المثل الأعلى في الانتاج العلمي التقني والصناعي ، وقد حققته ملاحة الفضاء ■

الى السبعين !

للشاعر أحمد بن ابراهيم الغزاوي



مشيت الى « السبعين » قلبي أخضر ... سليم ونفسي – بالمآسي تعذّب

أحاول جهدي أن أكف ذوي الأذى ... وأدفع بالحسنى !! ودمعي يسكب ؟

ويسطو عليّ الجاهلون تطاولا ... وأوسعهم « صفحا » – ولا أتعتّب !

وأحتمل الأقصى – ابتغاء وداده ... وأخفض للأدنى جناحي – وأحدب

وما اكتحلت عيني سوى السهد ليلة ... بكل ملمّ – فيه يعيا « المهذّب »

وكم ضاقت الدنيا عليّ برحبها ... وصابرت ، والأهوال – حولي تصخب ؟

صمدت لها والروح رهن قيودها ... ومن دونها الجسم المحطم ينصب

تجردت من دعوى الغرور ، – ولم أزل ... أصارع آلآمي – وأطفو وأرسب

وداريت حتى قيل أني « امّع » ... أو أنّي – « رجعي » – وأني مذبذب

وما زادني « الايمان » – الا « تبصرا » ... ولا راضني الاّ « اليقين » المحبّب

وأعلم أن الموت حق ، وأنه ... مصير بني حواء .. مهما تقلبوا

وأن الذي لا يعلم الغيب غيره ... « لطيف » ، ومهما شاء يمضي ، ونذهب

لذلك آثرت « الرّضاء » لعلني ... به « أحمد » العقبى – ولا أتغضب

وقد ظن هذا الناس مني استكانة ... وما هو الاّ « طيبة » وتحبب

« وكم لظلام الليل عندي من يد ... تخبر أن « المانوية » تكذب »

به انتجي عبر السماء ، وخالقي ... وعيناي « بالزلفى » اليه تصوّب

وفي الله ما القى ، ولله مرجعي ... وفيه رجائي ما رهبت ، وأرغب ؟

حصاد الكتب

حَصادُ الكتبِ العربيّةِ في الأمصارِ المختلفةِ حَصادٌ وفيرٌ، والمطالعةُ الدّقيقةُ لها جميعها تبعةٌ تنوءُ بها الهمّة وتستعصي على طموحِ الطامحين في ميادينِ المعرفة. فلا مفرّ إذن مِنَ الانتقاء، ومنه مراعاةُ التنوّعِ في المادّةِ والجدّةِ في البحثِ، مع توخي تمثيلِ الأقطارِ العربيّةِ كلّما كانَ ذلكَ ميسورًا

إنسانيات

هذا خامس كتاب للمحامي الأستاذ أحمد حسين يدور عنوانه حول « الانسانية » ، فقد صدر له من قبل « الطاقة الانسانية » الذي عرّف به الأستاذ الراحل عباس محمود العقاد ، وكتاب « تاريخ الانسانية » ، و « الأمة الانسانية » ، و « كوكب الانسانية ». وهذا الحرص من المؤلف على ادارة كتبه على موضوع « الانسانية » انما يمثل اتجاها فكريا استأثر باهتمام الأستاذ أحمد حسين بعد حياة حافلة في صخب الجماعة ، ويمثل اعتقادا رسخ في ذهنه ، سداه ولحمته أن الانسان هو محور الحياة ، وأن أي صلاح للجماعة انما يبدأ من الانسان ، وينتهي اليه .

على أن كتاب « انسانيات » لا يعالج قضية واحدة ، وانما يتناول أمشاجا من الموضوعات التي اختمرت في ذهن المؤلف بعد تحصيل واسع ، ومغامرات فكرية منوعة . فالفصل الأول من الكتاب موازنة بين العلم والأدب والفن بمجالاتهما . وقد انتهى المؤلف الى أن العلم يغني جديده عن قديمه ، وينسخ الطارف التالد ، حتى وان ارتكن الى أسسه وقواعده . أما الأدب والفن فمهما عرفا من أسباب التجديد والطرافة ، فلا غنى للمرء عن التراث الذي خلفه رجال الأدب والفن ، كالبحتري والمتنبي ، وفان جوخ ، ورابرانت ، وشوبان ، وموزارت ، ومن اليهم . وخلص أحمد حسين الى ما يشبه النظرية المستمدة من تجربته ومعاناته الخاصة ، وهي أن الآثار الفنية أبقى من الآثار العلمية ، وان القوى النابعة من مشاعر المرء ووجدانه وعواطفه أدوم من القوى النابعة من عقله وفكره ومنطقه .

ويروي لنا الأستاذ أحمد حسين قصة « شوقية مجهولة » هي القصيدة الأخيرة التي نظمها الشاعر شوقي ، ونشرت في الصحف مع خبر نعيه في يوم واحد . وقد خلا ديوان شوقي من هذه القصيدة ، وفاتت عناية أغلب الدارسين لشعر شوقي ، وفيها يقول :

الملك بالمال والرجال
لم يبن ملك بغير مال
والمال ركن الشعوب يؤدي
اليه في السلم والقتال

وهي قصيدة تقع في بضعة عشر بيتا ، وقد أثبتها أحمد حسين ، وروى ملابساتها ، محاكيا في ذلك الأستاذ الكبير الدكتور محمد صبري السوربوني صاحب « الشوقيات المجهولة » و « المطرانيات المنثورة » .

وفي كتاب « انسانيات » فصلان عن علمين بارزين من أعلام التاريخ المعاصر ، هما : المرحوم عزيز علي المصري طيب الله ثراه ، والمجاهد محمد علي الطاهر أطال الله بقاءه . وقد استوفى أحمد حسين الحديث عن كليهما حديثا يرجع اليه المؤرخ فيجد فيه من أخبار الصلة الشخصية ما تتكامل به السير المروية والتراجم الآخذة بمجامع النفس .



أصفار على اليسار

عنوان غريب لديوان من الرباعيات — والخماسيات أحيانا — أصدره الصحفي المهجري الأستاذ عبد اللطيف الخشن ، المقيم في حاضرة الأرجنتين . وهو يقول في اهداء ديوانه :

اليك سفرا فلا تحسبه أصفارا
في كل حرف ترى رمزا وأسرارا
وكل قافية سطرتها بدمي
تريك نارا على نار وأنوارا
شعور حر أديب عاش في وطن
لم يدّخر فيه حتى اليوم دينارا
كم واحة غرستها كف مغترب
لم يجن منها سوى اللأواء أثمارا

وقد سمّى ديوانه « أصفار على اليسار » من قبيل التواضع ، وترك للناقد حرية نقل الأصفار الى يمين الواحد الصحيح ، لتستقيم في الموازين ارقاما مادية ذات وزن وثقل واعتبار .

ورباعيات « الخشن » مستوحاة من مناسبات بعضها خاص وبعضها عام ، وهي لا تخلو من دروس ، ولا تنقصها روح الفكاهة والسخرية . وقائلها « لطيف وخشن » في آن — على حد تعبير مقدم الكتاب الشاعر جورج صيدح — لأنه يقسو حين تراد القسوة ، ويسخر حين تستطاب السخرية ، ويقول الحق « ورزقه على الله » ، ولا طعام له ولا شراب الا عزة النفس ، وشرف القلم ، ونقاء القلب . ومن قوله الساخر :

أمسي وأصبح لا أرى لي صاحبا
الا اليراع مؤاسيا في ضيقي
فكأنه في الليل حارس منزلي
ومرافقي ، ومحدثي في السوق
كم حاسد متعجرف أغضبته
بصراحتي يرتاح « للتلفيق »

وقد زار الأستاذ عبد اللطيف الخشن المملكة العربية السعودية ، فرأى الصحراء تعج بالسيارات ، والجو يمتلىء بالطائرات ، والحضارة غلبت الابل والنوق وأسباب البداوة . فقال في تصوير وقع هذا المرأى في نفسه :

وصحراء تعيش بدون نوق
غدت بعد الغياهب في شروق
تقول رمالها للدهر اني
طريق المجد للبيت العتيق
خذوا رمز البطولة من رمالي
وعنوان الحضارة من عقيقي

والقارىء لهذه الرباعيات ، يحس بمرارة تتآكل حلق عبد اللطيف الخشن ، وقد أعرب عنها في مواضع شتى كقوله :

اذا ذكرت بلادي رحت أبكي
على نفسي لأني من بلادي

أحس ببعـدهـا نـارا وليست
تـحس بأوبتـي أو فـي بعـادي

وقد ذيل الخشن رباعياته بقصائد كاملة نظمها في مناسباتها ، وقد بسط ملابسات كل قصيدة بحديث مستطرد ذكرنا بالأحاديث ذات الشجون التي امتلأ بها ديوان « وحي الخلود » للشاعر الدكتور زكي مبارك .

ولو حكمنا جميع موازين النقد في رباعيات الخشن . لكانت حصيلتها تغيير اسم الديوان الى « أصفار الى اليمين » ، ولو كره الشاعر !



الأمير مصطفى الشهابي

من السير الحافلة سيرة العلامة الكبير الراحل الأمير مصطفى الشهابي ، الرئيس السابق للمجمع العلمي العربي في دمشق ، والعضو المراسل في المجمعين المصري والعراقي .

رجل عمرت حياته بالعمل الجاد النافع ، وكان من عمدان جميع الهيئات التي انتسب اليها وأركانها . عين محافظا لحلب ، فأنشأ فيها مكتبة عامة تشع منها أنوار العلم والعرفان . وتوالى عليه شغل المناصب الادارية والزراعية والتمثيلية والوزارية ، وشارك في الندوات العربية الخاصة برعاية شؤون الاجتماع والمواصلات ، فكان في هذه المناصب نموذجيا في اخلاصه وخلقه ، ومساهمتـه الجـادة ، ومشاركته الانشائيـة الصادقة .

وقد اتصل الأمير الشهابي بمجمع دمشق أوثق اتصال وأعزه وأقربه الى قلبه الى يوم وفاته ، فبكاه المجمع ، ونهض ابن بار من أعضاء المجمع ، هو الدكتور عدنان الخطيب ، بعبء احياء سيرة هذا الفقيد في كتاب عنوانه « الأمير مصطفى الشهابي ١٨٩٣ — ١٩٦٨ » سجل فيه الدكتور الخطيب سيرة الأمير الراحل ، وآثاره القلمية ، ومعاجمه الزراعية والحراجية الوثيقة ، وكتبه في شؤون الزراعة والمصطلحات وما اليها ، ثم وضع ثبتا بآثار الأمير الشهابي من دراسات وبحوث متناثرة في المجلات العلمية ، وأثبت قصيدتين عامرتين في رثاء الأمير الراحل ، للشاعرين محمد عبد الغني حسن ، والدكتور زكي المحاسني .

وكتاب الدكتور الخطيب بادرة وفاء ، وأنشودة حب في الأمير الشهابي . ولكنه مع ذلك يعتبر مدخلا الى دراسة حياة هذا الرجل الفذ ومرشدا الى المراجع التي يستند اليها في تسجيل هذه السيرة بتوسع أوفى وتفصيل مستوعب .

ذلك بأن هذا العلامة الكبير قد خدم علوم الزراعة والفلاحة والحيوان والحراجة خدمة كبيرة بمـا حققه من مخطوطاتها وبما ترجمه من مؤلفاتها ، وبما صنفه من معاجم أستاذية في بابها ، وبما أعده من دراسات مستفيضة موسوعية في هذه المضامير جميعا . ثم انه قد خدم المصطلحات والأساليب صوغها بالكتاب الذي وضعه في هذا المجال ، بمشاركاته في مجمعي دمشق والقاهرة ، وبتعليقاته الذكية على كل ما يقع تحت بصره من مصطلحات علمية أو حضارية أو فنية . ثم انه قد خدم التاريخ بما سجله من مصنفات ضخام في بعضها ذكريات شخصية عاصرها وأسهم فيها . ثم انه كان بفطرته أديبا وله عشرات من الموضوعات الأدبية الفاخرة ، سواء في كتابه «الشذرات » أو في المجلات الأدبية العربية الكثيرة ، بل انه شاعر مجيد .

ويهمني أن أشير الى أن قائمة المقالات الأدبية والعلمية التي سجلها الدكتور الخطيب تنقصها تقاريظ الكتب التي جرى بها قلم الشهابي في مجلة المجمع وفي مجلات غيرها . ولا ريب في أن فهرس مجلة المجمع الذي يعده الأستاذ عمر رضا كحالة كفيل باستدراك هذا القصور .

وما أصدق خليل مطران القائل في الأمير الشهابي :

يا أميرا أهـدى الى لغة الضـاد
كنـوزا مـن علمـه وبيـانـه

اخبار الكتب الجديدة

* أصدر الشاعر الأستاذ بولس سلامه بأسلوبه البارع كتابا كبيرا عن المأثورات الشعبية (الفولكلور) في لبنان ، وهو من واقع ما رآه وخبره وعاش في وسطه من ريف لبنان .

* من الدراسات الأدبية الجديدة التي ظهرت مؤخرا : « حياة الشعر في الكوفة الى نهاية القرن الثاني للهجرة » للدكتور يوسف خليف ، و « الأسماء والتواقيـع المستعارة في الأدب العربي » للدكتور محسن جمال الدين . وتحت الطبع كتاب « في الأدب والحياة » للأديب العراقي الأستاذ وحيد الدين بهاء الدين .

* أصدر البحاثة السعودي الأستاذ عبد القدوس الانصاري كتابا جديداً عنوانه « التاريخ والآثار » وهو محصول دراسات وأبحاث متتالية تناولت الآثار التاريخية في كل من المملكة العربية السعودية ، والأردن ، وسوريا ، ولبنان ، والكويت ، وقد استغرق جمعها وتدوينها أمدا ينيف على ثلاثين عاما .

* من دواوين الشعر التي ظهرت أخيرا « الأغاريد » للشاعر السعودي الأستاذ محمد بن عـلي السنوسي و « دنيا على الشام » للأستاذ سليم الزركلي ، و « الشوق الغارب » للأستاذ عبد الخالق فريد وله مقدمتان شعريتان من قلم الأستاذين محمد أبو الوفا وصالح جودت ، و « حـنـين » للشاعر المهجري الأستاذ جان زلاقط ، و « بحر الصمت » للشاعرة ملك عبد العزيز ، و « ما علينا » للأستاذ عـلي عبد الرحمن ، و « مع الريح » للشاعر السوري الراحل عبد السلام عيون السود . كما ترجم الأستاذ سعد صائب ديوان « أم » للشاعر البلجيكي بوريس كاريم وقدم له الدكتور زكي المحاسني . وتحت الطبع ديوان « عبير من الشام » للشاعر الأستاذ عدنان مردم بك . كما يصدر كتاب عنوانه « شعراء معاصرون من سورية » للأستاذ محمود ياسين المكنى « بابن الريف » .

* من الكتب التي تبحث في التراجم والسير صدرت هذه الطائفة : « ابن قيم الجوزية — عصره ، منهجه ، آراؤه في الفقه والعقائد والتصوف » للدكتور عبد العظيم شرف الدين ، و « لورنس كما عرفته » للأستاذ صبحي العمري ، و « محمد فريد — ذكريات ومذكرات» للأستاذ صبري أبو المجد ، و « أعلام في الاسلام » للدكتور عبدو بدوي ، و «رامبو الشاعر المتشرد» للأستاذ صدقي اسماعيل . وتحت الطبع كتاب « عبد العزيز الرشيد رائد الاصلاح وشيخ مؤرخي الكويت » للبدوي الملثم الأستاذ يعقوب العودات بمقدمة للأستاذ محمد أديب العامري .

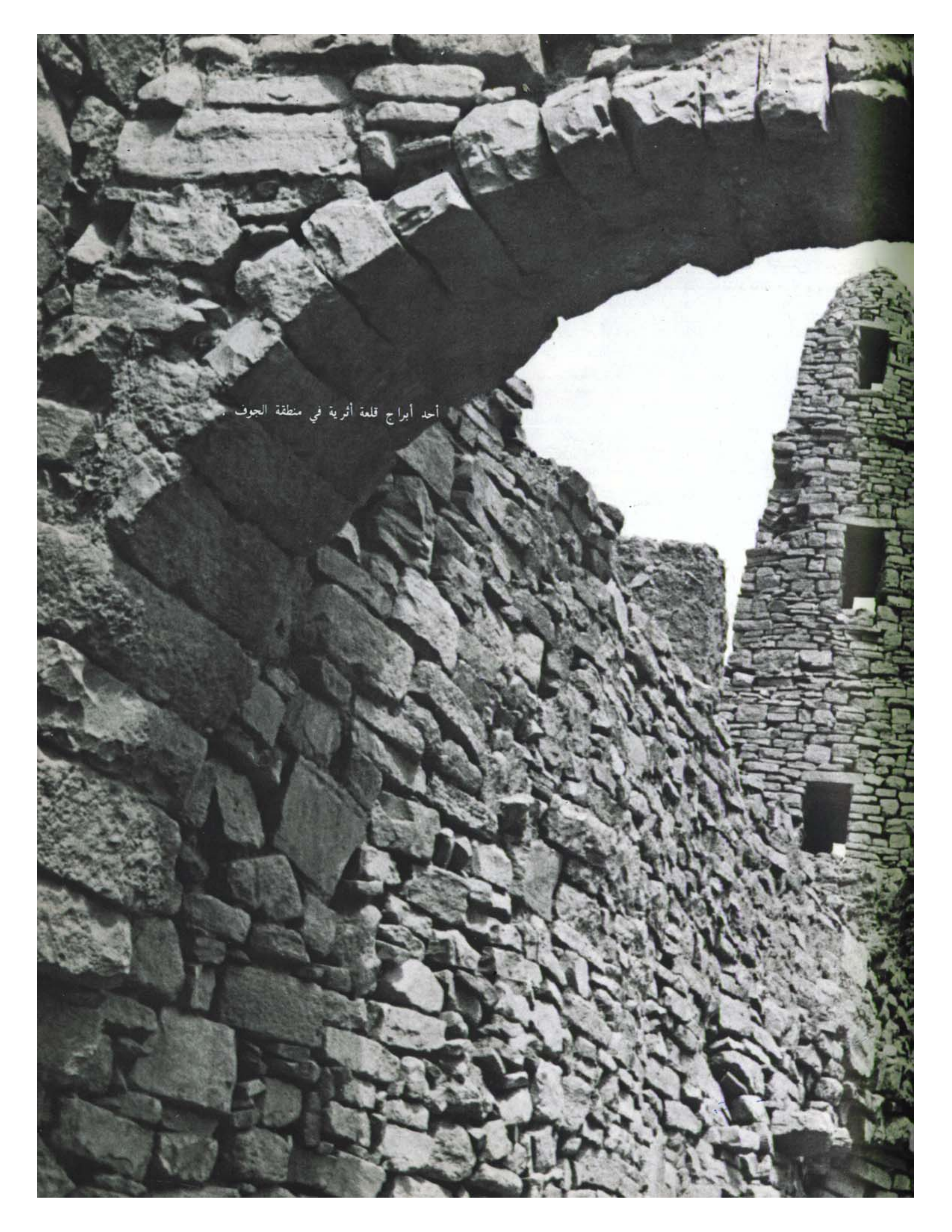
* من الكتب المعدة للطبع مجموعة رسائل السيد محمود شكري الآلوسي الى الأب انستاس ماري الكرملي وهي أكثر من ٥٠٠ رسالة تبحث في الأدب واللغة والاجتماع والتاريخ والسير ويعمل على تحقيقها العلامتان ميخائيل وكوركيس عواد ، و « رصيد أربعين سنة في دنيا الغربة وأربعة عشر شهرا في دنيا العرب » للأديب المهجري الأستاذ عبد اللطيف الخشن ، و « أدب الأحاديث القدسية » للدكتـور أحمد الشرباصي ، و « شخصيات أدبية معاصرة » للمؤرخ الأستاذ محمود الشرقاوي ، و « مذكرات الدكتور أحمد زكي أبي شادي » من تحقيق الأستاذ روكس بن زائد العزيزي ، و « حلب في القرن الثامن عشر » للأستاذ ويع قسطون ■



اساليب البناء القديم في المملكة العربية السعودية

الانسان أقدر المخلوقات تكيفا مع بيئته . ومنذ أن أوجد الله الانسان على هذه البسيطة وغريزة حب البقاء تضعه في موضع المواجهة مع ما حوله من ظروف طبيعية . جاع فعمد الى الطبيعة بزرعها وضرعها . وعطش فورد مياه العيون والأنهار . واقشعر بردا وضاق بالحر فلجأ الى الكهوف والمغاور . ووجد فيها مأوى يقيه شر الحر والقر . وكان الانسان في مواجهته لمثل هذه الظروف تلقائيا لا يوليها من جهده غير عناء البحث . بل انه كثيرا ما كان يدع الصدفة وحدها تهديه الى ما يعزز موقفه . ثم ما لبث الأمر أن تغير بعد أن اهتدى الانسان الى حياة الجماعة مدفوعا بغريزة حب البقاء أيضا . فكوّن أسرا وقبائل تعارفت وتمازجت مع أسر وقبائل أخرى . ونمت فيه غريزة حب التملك الى حد غدا معه يتعمد أن يخص نفسه وأسرته وقبيلته بأفضل الأشياء . وجد كهفا مناسبا فسكنه وزوجه وأطفاله . وبذلك عرف أول بيت في تاريخه . وحيث قدّر الله أن توجد كهوف عدة تجمعت أسر القبيلة الواحدة . فكانت القرى . وهكذا . الى أن استطاع عقل الانسان أن يتغلب على الظروف المحيطة به وأن يتجاوز تحكمها به . فصنع بيوته بيده من جلود الحيوانات ومن شعرها بعد ذلك . أو ابتناها مما تيسر له من مواد .

وتتحكم بصناعة البناء . عوامل كثيرة . وربما كان العامل الطبيعي أهمها . ففي المناطق الباردة يختلف أسلوب البناء ومواده عنهما في المناطق الحارة أو المعتدلة . ويؤثر اتجاه الريح وطبيعة



أحد أبراج قلعة أثرية في منطقة الجوف .

الأرض والموقع في هندسة البناء من حيث الأساس والارتفاع وغير ذلك مما يجب مراعاته في البناء المزمع انشاؤه .

وللحالة الاقتصادية أيضا أثر كبير على النواحي العمرانية ، ففي حين تميزت مباني المجتمعات الراقية بالفخامة والسعة اتسمت مباني المجتمعات المتوسطة بالتواضع والازدحام .

ومن الناحية الحضارية ، أثرت عوامل الدين والتاريخ والعادات والتقاليد ، ولا تزال ، في أشكال الأبنية وأساليب البناء . ولكل حضارة طابع بناء خاص بها . ولا تزال أساليب البناء الرومانية والفارسية والأغريقية والاسلامية تستقرأ في كثير من آثار هذه الأمم ، بل ان بعض الحضارات قد تركت آثارا بارزة على أساليب العمارة الحديثة في الشرق والغرب على حد سواء . ومن الناحية الفنية ، عمدت كل حضارة الى تكريس طراز معماري يختلف عن طراز غيرها أحيانا ، ويقتبس منه ويضيف اليه أحيانا أخرى .

والمملكة العربية السعودية ، هذه الرقعة الشاسعة المترامية الأطراف ، بما فيها من صحاري رملية وشواطيء وواحات وسهول وجبال ونجاد ، غنية بحضارات أمم كثيرة تتلاقى فيها اما في موسم الحج في كل عام أو في الرحلات التجارية الى المرافيء وكبريات المدن ، وحيث يختلف المناخ من منطقة الى أخرى . ويتميز فيها فن البناء بالتنوع ، وان غدا يتسم في أيامنا هذه بطابع عصري ، لا سيما وأن البلاد قفزت في مضمار الرقي ، وغدت تنتج حاجاتها من الاسمنت وقضبان الحديد ، المادتين الأساسيتين لكل بناء ، بالاضافة الى مواد أخرى عديدة .

ويختلف طراز البناء في المملكة العربية السعودية من منطقة الى أخرى ، ففي المدن الساحلية المحاذية للبحر الأحمر كجدة وينبع وجيزان ، وبعض المدن الداخلية كمكة والطائف كان فن البناء متأثرا بالطراز التركي ، حيث ترتفع البيوت من طابقين الى ستة طوابق ، وحيث تكون الغرف متعددة النوافذ مرتفعة السقوف فسيحة الشرفات تزينها الرواشين . وأما جنوبا في تهامة فقد كان نمط البناء مأخوذا عن الكوخ الأفريقي المبني من أغصان الأشجار التي تلتقي في السقف ، ويكون البناء دائريا يبلغ قطره نحو ستة أمتار ، أما علو جدرانه فحوالي الثلاثة أمتار .

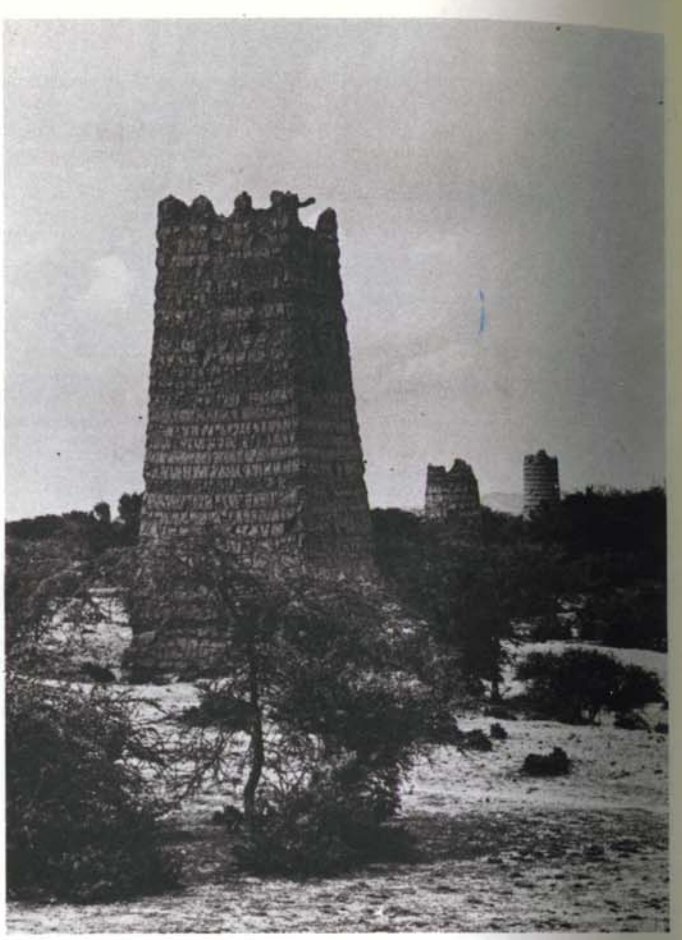
وفي عسير ، وخصوصا في أبها ، عاصمة المنطقة ، كان فن البناء يختلف اختلافا كليا عما ذكر ، اذ يطبق هناك أسلوب المداميك المزدوجة في البناء . ويتألف المدماك المزدوج من اللبن من الداخل ومن صفوف من الحجارة البارزة من الخارج تصف بانتظام لتجميل البناء من ناحية ، ولصد الأمطار عنه من ناحية أخرى .

وفي المناطق الجبلية كانت الجدران تبنى برمتها من الحجارة ، وتضيق النوافذ والأبواب لتفادي الرياح العاصفة والبرد القارس . وتبنى مواقد مستطيلة في أحد أطراف المجلس تستخدم في صنع القهوة أو لأغراض التدفئة . ويشاهد في عسير بنايات قديمة ترتفع الى خمسة طوابق أحيانا ، مبنية من اللبن المجفف بأشعة الشمس . ومن الغريب أن هذه البنايات تشاد مائلة قليلا ، ويقال انها كذلك تكون أمتن وأرسخ ، وتحلّى جدرانها من الخارج وأطر نوافذها بالطوب الأحمر ، وتطلى نوافذ الطابق العلوي بالجير الأبيض (النورة) . أما الأجزاء الداخلية للبناء فتزدان بالزخارف والنقوش . وهي تختلف من منطقة الى أخرى ، الا أن الأسلوب السائد في معظم هذه المباني هو طلاء الجدران بالنورة . أما الأرض فيضاف الى الطين المستعمل في صبّها عصارة البرسيم الخضراء . وفي كثير من الحالات تترك الجدران والأرض دون طلاء .

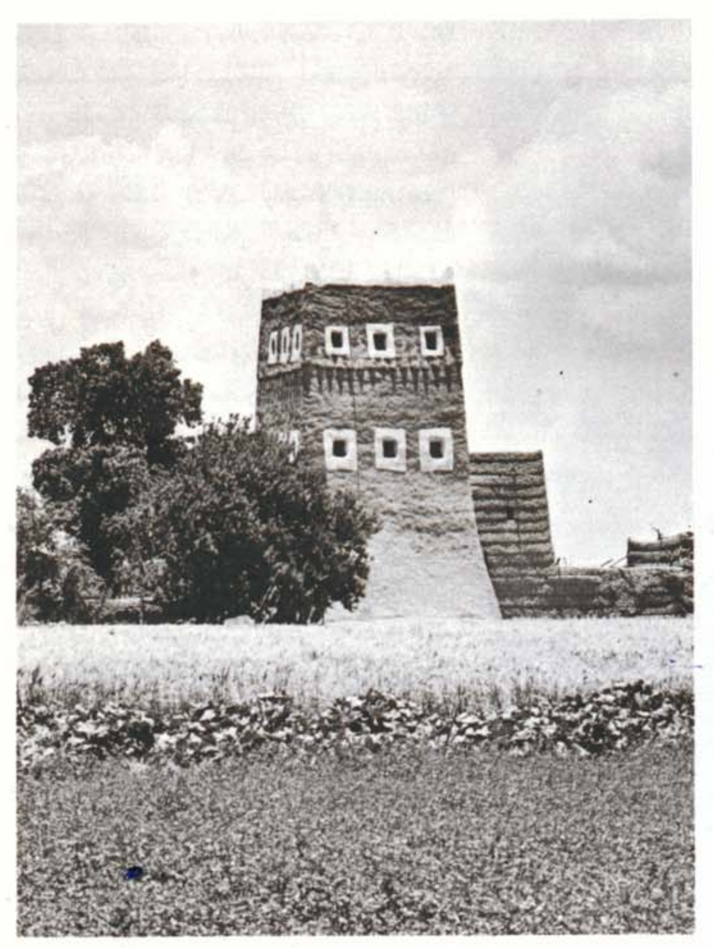
وفي منطقتي الرياض والقصيم كانت البيوت تشاد من اللبن المجفف بأشعة الشمس ، وهي نادرا ما ترتفع الى أكثر من طابقين ، ما عدا بعض القصور والقلاع الضخمة ، كقلعة المصمك التاريخية في الرياض . ويقوم البناء في نجد حول فناء فسيح ، وتعلو جدرانه عن سطحه حوالي

جانب من قصر جلالة المغفور له الملك عبد العزيز في « المربع » بالرياض .





كانت المباني الشبيهة بالقلاع تبنى من اللبن أو الطوب المشوي في المنطقة الجنوبية من المملكة ، ولكن ذلك الأسلوب سرعـان ما تـلاشى واندثر .



نموذج لبيت ذي طابقين في المنطقة الجنوبية من المملكة .

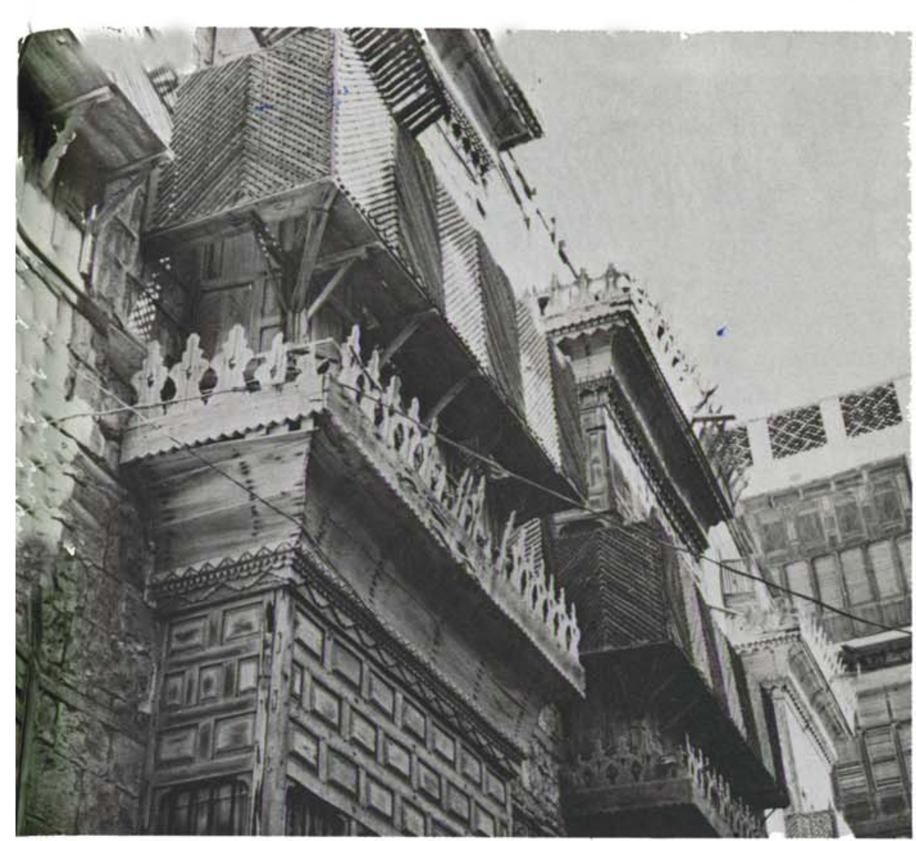
نموذج لقصر قديم في الطائف ، يرجع تاريخ بنائه الى أواخر عهد العثمانيين .

مترين أو أكثر ، وتحلى الأجزاء العلوية منها بفتحات تشبه فتحات المعاقل والحصون . وتتميز مباني هذه المنطقة بسمك جدرانها وارتفاع نوافذها وضيقها . وفيما عدا خرط خشب الأبواب وحفر نقوش فيه وطلائه بالألوان الزاهية ، وتزيين بعض أجزاء البناء بزخارف من الجبس أو الخشب المطلي ، لا يلاحظ في مثل هذه الأبنية الا زخرف بدائي بسيط .

بيد أن أبنية الخاصة في مختلف هذه المناطق ، تختلف عن أبنية العامة وتبزها من حيث السعة والعلو والزخرف ، وان كانت في أغلب الأحيان غير ذات طابع واحد مميز . ولعل قصر المربع الذي بناه جلالة المغفور له الملك عبد العزيز ، موحد الجزيرة العربية ومؤسس الدولة السعودية الحديثة ، قبل نحو نصف قرن أفضل مثال على ذلك . فالقصر أموي النمط من حيث قيامه حول ساحة مبلطة تتوسطها بركة ذات نوافير ، وأبوابه محلاة بنقوش وزخارف أخاذة في حين تضفي ألواح الزجاج الصغيرة الملونة على نوافذه رونقا رائعا . ويتألف القصر من طابقين يضمان غرفا فسيحة وردهات رحبة وشرفات ذات حواجز مزخرفة . أما سوره ومدخله فتقليديان من حيث الارتفاع والشكل . وأمام البوابة دهليز مسقوف ذو صفّات ومقاعد حجرية ، والى جانب القصر تقوم غرف رجال الحرس والقائمين على خدماته .

أما أرضية القصر فمن اسمنت أبيض أو ملوّن شبيه الى حد ما بالبلاط التقليدي المستعمل في أيامنا هذه . وتتميز غرف القصر وردهاته بسعتها وارتفاع سقوفها وزخرفة أبوابها ، وهو لا يزال بحالة جيدة .

وفي المنطقة الشرقية تعتبر واحتا الاحساء والقطيف من أعرق الأقاليم عمرانا ، حيث كانت تقوم قلاع وحصون ذات أبراج عالية . ولأن المنطقة تشتهر بنخيلها ، فقد اعتمد على سعف النخيل وجذوعه في سقف الأبنية وصنع أبوابها ونوافذها ، وكثيرا ما كانت العامة تبني أكواخها من جذوع النخيل وجريده وسعفه ، كما كان الحال في قرى الدمام والخبر التي عمرها الدواسر بعد هجرتهم اليها من البحرين . ومن مواد البناء الأخرى في هذه المنطقة الطين الغريني المجلوب من البحر أو من الحفر التي كانت تحفر خصيصا لذلك في الأراضي السبخة ، وكانوا يمزجونه بالتبن بغية تقويته وزيادة تماسكه ، والجبس الذي يستخرجونه محليا لتملط به جدران البناء من الداخل ، والقصب والحصير التي تدخل في سقف البناء .



كانت رواشن الخشب الأسلوب الغالب في تزيين نوافذ المباني القديمة في مدن المنطقة الغربية ، كمكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة .

أحد الأحياء القديمة في مدينة بريدة بالقصيم ، وقد غلب على مبانيه طابع العمران القديم ..

وكانت أغلب بيوت الاحساء والقطيف تتألف من دور واحد ، تدلف اليه من بوابة شحيحة العرض ، فتدخل الى مجلس نصفه مسقوف ونصفه الآخر مفتوح ، وهو عبارة عن فسحة صيفية كان الخاصة يفرشونها بجريد النخل ويستعملونها كمجلس صغير . وكثيرا ما كانت فسحة المجلس تضم غرفة أخرى للضيوف . وتلي فسحة المجلس فسحة أخرى مربعة الشكل ، تقوم على جوانبها غرف البيت الأخرى ومنافعه .

ولأن المنطقة كثيرا ما تتعرض للعواصف الرملية فان نوافذ مجالس الأبنية القديمة فيها كانت تتسم بالارتفاع والضيق . أما غرف البيت الأخرى فكانت نوافذها مجرد كوى صغيرة عالية . وكانت أرضية البيت تترك على حالها ، بيد أن القوم كانوا يفرشونها بالحصير أو الزل . وأما الأبواب فعبارة عن ألواح من السدر أو الاثل تثبت الى جانب بعضها بمسامير غليظة يصنعها حدادون محليون ، وهي قليلة النقش والزخرف .

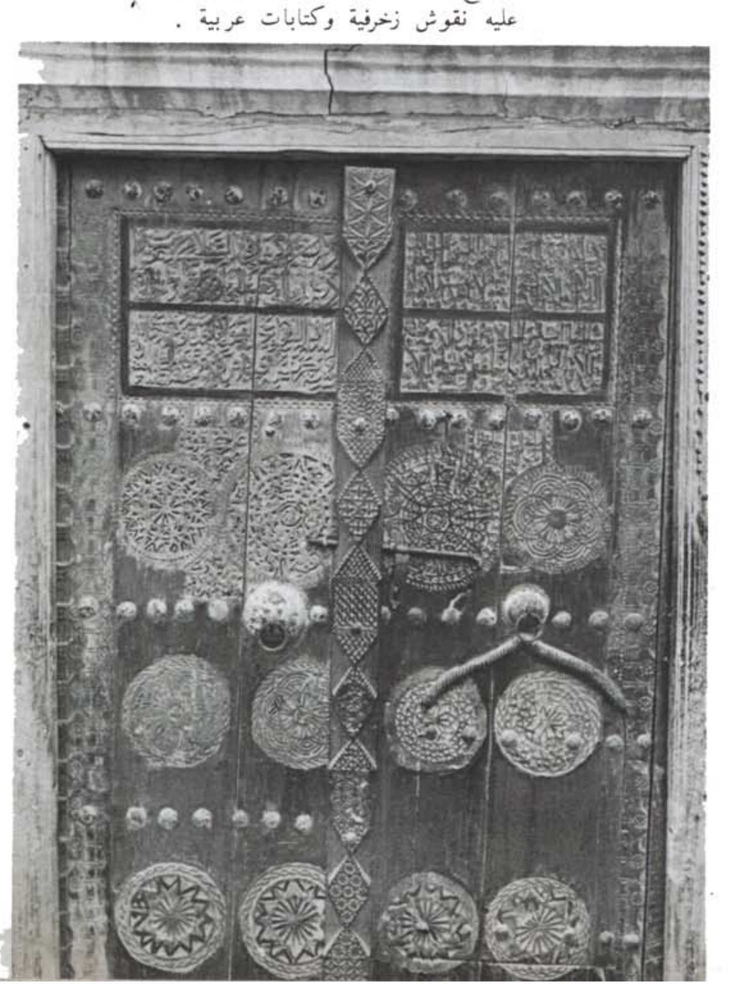
وفي المدينة المنورة يمكن تقسيم البنايات القديمة الى فئتين ، شاهقة وبسيطة . فالبنايات الشاهقة كانت تشاد من حجر المدينة الأسود المنحوت نحتا أوليا . والطين الذي يخلط بالرماد المخلوط بدوره بالجير الأبيض . أما السقوف فتمد من جذوع النخيل وسعفه ، ثم تغطى بطبقة من الطين . وتصنع الأبواب والنوافذ من خشب السمر أو السدر أو ألواح الخشب المستوردة . أما البنايات البسيطة فتشاد من اللبن المجفف بأشعة الشمس أو من الطوب المشوي . ولكن أسسها تبنى بالحجر والطين . وتتكوّن البناية الشاهقة في العادة من ثلاثة طوابق أو أربعة ، يتألف الأول منها من دهليز فسيح ، وربما يحوي مجلسا أو مجلسين وديوانا وقاعة . أما الديوان فهو عبارة عن غرفة نصفها مسقوف ونصفها الآخر مفتوح ، وذلك بقصد التهوية والانارة ، والديوان يؤدي الى القاعة ، وهي عبارة عن صالة ذات دكتين مرصوفتين بالحجارة مملوطتين بطين مضغوط يصنع من الجير الأبيض والرماد . وكثيرا ما تزين المجالس رواشن خشبية متعددة النوافذ تصنع من خشب مشبك (شيش) يصنعها نجارون مهرة . أما الطوابق الأخرى فتضم كل منها ما يسمى « صفة » ، وهي قاعة تقوم فوق سقف الدهليز . ومجلسين يقومان على سقف القاعة ، وربما مجلسا واحدا فسيحا ومجالس خلفية تقوم على سقف الديوان والقاعة . وتنفتح نوافذها على « مناور » القاعة والديوان . وهي تستعمل كغرف للنوم أو كمخازن ومنافع . ومن الجدير بالذكر أن الطابق الأرضي كان يضم بئرا ذات فتحة تمر عبر جميع طوابق البناء لكي يتمكن المقيمون فيها من متح ماء البئر دون أن ينزلوا اليها . أما الآن فقد دخلت مواسير الماء النقي جميع البيوت . وتبنى السلالم المؤدية الى الطوابق العليا من الحجارة وتملط بالطين ، وهي في معظم الأحوال داخلية .

أما المباني البسيطة ، وهي غالبا ما تكون بيوت عامة القوم فتتألف من مدخل (سيب) ودكة دهليز ونوافذ تنفتح على الخارج وغرف نوم تكون في مؤخرة البناء . ولا يراعى في انشائها نظام معين ، وهي تبنى بالحجارة والطين أو باللبن ، وتملط جدرانها بالنورة ، أما سقفها فيبنى من جذوع النخل وسعفه ، وأبوابها من خشب السدر أو الخشب المستورد .

تزدان مجالس بيوت الخاصة في منطقة نجد والقصيم بخزائن مفتوحة تحفظ فيها أباريق الشاي ، ودلال القهوة والمباخر .



نموذج لاحد الابواب القديمة وقد بدت عليه نقوش زخرفية وكتابات عربية .



وفي مكة المكرمة كان يتبع أسلوب البناء ذا
بيد أن المجالس والقاعات تضيق ، وذلك لزيا
عدد الغرف بغية الانتفاع بها في مواسم الحج .

وفي مدينة جدة ، على ساحل البحر الأحمر
وحتى القرن الحادي عشر للهجرة كانت المبا
تتألف من طابق أو طابقين ، وقلما تألفت من ثلا
طوابق . وكانت واجهاتها مستوية ونوافذها صغيرة
وكانت تبنى على السطح العلوي غرفة صغيرة
ذات نافذة مطلة على بوابة البناية ، أما السلا
فعالية ضيقة ، وهي تارة تبنى من الحجر الدبش
وتارة من الطوب أو اللبن . أما السقوف فتبنى
من جذوع النخل وجريده وسعفه ، باستثناء سقوف
المباني العامة من مساجد وغيرها ، فكانت تبنى
من جذوع الدوم التي « تدوم » على الزمن .

ويدلف العابر الى هذه المباني من باب ليس
رحبا يعلوه حجر مستطيل ضخم (نجاف) يكون
في الغالب منحوتا . ويدخل الى الدهليز . ومنه
الى القاعة أو الديوان ، فالمجلس (الدقيسي)
الذي يعد خصيصا للضيوف . هذا في الطابق
الأول من البناء ، أما الطوابق الأخرى فهي شبيهة
به من حيث التصميم ، وان كانت أحيانا
تختلف عنه بتقسيماتها الخلفية . وفي القرنين
الهجريين الثاني والثالث عشر ، طرأ على فن البناء
بعض التطور اذ أدخلت الرواشن في تزيينها
واستعمل الحجر المستخرج من البحر في تبليط
أرضها ، والطوب الملون في تزيين جدران سطحها.
وفي عهد محمد علي باشا ، وفد الى جدة عدد
من البنائين المصريين الذين استوطنوا فيها ، فتأثر
البناء بالنمط المصري آنذاك . وظل حال البناء
على ذلك الى أن بنيت في مكة المكرمة عام ١٣٤٧
للهجرة أول عمارة بالاسمنت المسلح ، وهي قصر
الحكم . وبعد ذلك بنى « آل زينل » بيتهم
في جدة من اسمنت مسلح ، فتأثر الناس بالنمط
المعاري الجديد الحديث وأصبح مألوفا لديهم ،
وبذلك انتهى عهد اللبن والطين والرواشن والحجر
البحري وطين البحر .

هذا ، ويضيق المجال بنا للوقوف على شتى
أساليب البناء ومواده وتقسيماته في كل مدن المملكة
وقراها ، اذ أن ذلك يختلف من منطقة الى أخرى .
بل ومن بلد الى آخر كما أسلفنا .. بيد أننا لا نجافي
الحقيقة عندما نقول أنه مع التقدم الاقتصادي
للمملكة العربية السعودية خطا العمران فيها
خطوات حثيثة . حتى ان الجديد قد تغلب على
القديم وطغى على بقيته الباقية

بقايا جامع أثري في منطقة الجوف مشاد بالطين
من الداخل والطوب المشوي من الخارج .



نموذج لأحد البيوت السكنية القديمة في منطقة ابها (راجع المقال)

